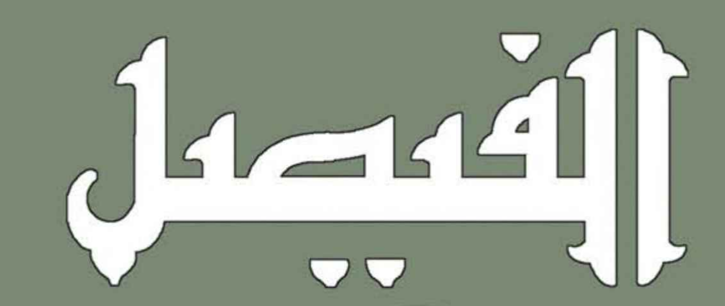


- قصائد عمر أبو ريشة المهداة إلى الملك فيصل
- موسكو .. من الكريملين إلى أقفال الحب الأبدي
- ندوة لمركز الملك فيصل تؤكّد:

العلاقات العربية الإفريقية روحية قبل أن تكون سياسية

مجلة ثقافية شهرية – الجماديان ١٤٣٢هـ / إبريل – مايو ٢٠١١م

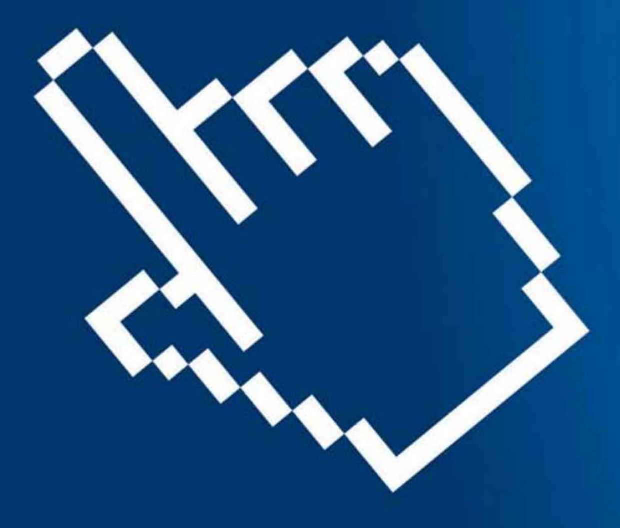
الفيصل – السنة ٣٥ – الجماديان ١٤٣٢هـ / إبريل – مايو ٢٠١١م

٤١٩
٤٢٠

٤٢٠/٤١٩

الأزمة:
الفجائية المربكة لصناع القرار





المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ١٤١١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات - الكويت ٨٠٠ فلس - الإمارات ١٠ دراهم - قطر ١٠ ريالات - البحرين دينار واحد - عُمان ريال واحد - الأردن ٧٥٠ فلساً - اليمن ١٠٠ ريال - مصر ٤ جنيهات - السودان ١,٥ جنيه - المغرب ١٠ دراهم - تونس ١,٢٥٠ دينار - الجزائر ٨٠ دينارًا - العراق ٨٠٠ فلس - سورية ٤٥ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكاً - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) - فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢...، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ - فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١- ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣ نهج المغرب - ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢-٦-٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١-٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢-٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢-٣-٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com

رســـائلكم



الحصول على «العلمية»

ظللتُ أتابع مجلة «الفيصل العلمية» منذ صدورها؛ لما تتميّز به من موضوعات شائقة تبسّط المعقد من العلوم، وتجيب عن أسئلة كثيرة تدور في الأذهان عن النباتات، والحيوانات، وجميع الأحياء، والأمراض، إلى جانب أخبار العلوم، وما يشهده العالم من تطور كبير في جميع المجالات العلمية.

ولصعوبة حصولي على المجلة في مدينة خميس مشيط؛ إذ لا تصل إليها المجلة، وإنما ترسل إليّ من الرياض بشكل شخصي من أحد الأصدقاء؛ فإنني آمل أن تدلوني على الطريقة المناسبة للحصول على المجلة بانتظام، مع تقديري لما تقومون به من جهد. كما أنني أودّ معرفة طريقة المشاركة بالكتابة في المجلة؛ لأن لديّ مقالات علمية أظنّ أنها تناسب المجلة.

وتقبلوا وافر تقديري..

د. صلاح خليل صالح

خميس مشيط - السعودية

التحرير

نشكر لك هذا الاهتمام، والطريقة المثلى للحصول على المجلة هي الاشتراك؛ حتى تضمن وصولها إليك فور الصدور. وتجد في هذه المجلة، أو في مجلة الفيصل العلمية، أو الفيصل الأدبية، العنوان الذي يمكن من خلاله الاشتراك.

كما أننا نسعد كثيراً بتلقّي مشاركاتك، سواء عن طريق البريد الإلكتروني أم الرسالة البريدية العادية، أم عبر الفاكس، إلا أنه من المفضّل إرفاق صور مناسبة مع الموضوع، وهذا متاح بالبريد العادي أو البريد الإلكتروني، مع ضمان الجودة العالية للصور؛ حتى تكون مناسبةً للنشر.



ندوات المركز

حضرتُ ندوة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عن العلاقات العربية الإفريقية، وحسناً فعل المركز بإثارة هذا الموضوع المهم، خصوصاً في هذا الوقت. وكنت أودّ الحصول على نسخة من مقالات هذه الندوة؛ حتى يمكنني الإفادة مما فيها من مادة ثرّة. وأقترح أن تكون ندوات المركز متاحةً صوتاً وصورةً في موقع المركز الإلكتروني؛ لأن ذلك يتيح فرصةً لمن تحول

دون حضورهم الفعاليات للإفادة منها. وأكرّر شكري للمركز؛ لاهتمامه بالقضايا المصيرية للأمة، وحرصه على استضافة الرموز في المجالات المختلفة.

وتقبلوا وافر التحية..

د. صلاح محجوب

الرياض - السعودية

التحرير

نطمئنك بأن ندوات المركز يتم تسجيلها، وتتاح لمن يرغب على شكل CD، وقد قامت المجلة بتغطية هذه الندوة، ولعلك تجد فيها ما يحقّق هدفك، ونشكر لك هذا الإطراء على أنشطة المركز، التي نأمل أن تكون مرضيةً ومحقّقةً الهدف.



مواكبة تستحقّ الإشادة

طالعتُ العدد الأخير من المجلة، وأعجبتني موضوعاته، خصوصاً ذلك الموضوع الذي تناول قضية المرتزقة الذين يدعمون الحكومات الديكتاتورية مقابل المال. وأعتقد أن المبدأ نفسه يدلّ على أن تلك الحكومات تمارس الاتّجار في البشر، وتستغلّ حاجة بعض الناس لتحقيق أهدافها، وهي التحكم في رقاب شعوبها من دون أيّ وجه حقّ. وآمل أن تكون المواكبة ديدن المجلة التي نعشقها منذ سنوات طويلة.

د. علي عبدالقادر

كوالامبور - ماليزيا

التحرير

نأمل أن تكون موضوعات المجلة على النحو الذي تصفه، ونحاول قدر الإمكان المواكبة وتلبية رغبات القراء الذين يمثّلون الركيزة الأساسية لها.

إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق
الرياض – السعودية

الأزمـــة: الفجائية المربكة لصناع القرار

عرف الإنسان منذ بداية وجوده على سطح الأرض أشكالاً من الصراع والتناقض، سواء أكان ذلك الصراع بينه وبين بيئته المحيطة، أم بينه وبين أبناء جنسه. وكان الإنسان مطالباً دوماً بمجابهة تلك التحديات، والخروج منها بما يحقّق مصلحته واستمراره، ثم أصبح مطالباً بما يحقّق مصلحة أسرته، ثم قبيلته، ثم بلاده، وذلك كلّه أصبح يُعرف اليوم بالأزمة (Crisis).

تعريف الأزمة

عُرِّفت الأزمة لغوياً بأنها الشدة والقحط والمحنة، وأَزَم عن الشيء: أمسك عنه، والأَزْم: يعني الحِمْيَة، والمَـأْزِم: المضيق، وكلّ طريق ضيّق بين جبلين: مَأْزِم، وموضع الحرب أيضاً: مَأْزِم.

أما اصطلاحاً، فتعرِّف الموسوعة العربية الميسّرة الأزمة بأنها هي تلك المرحلة في القصة أو المسرحية التي يشتدّ فيها الصراع إلى درجة يتحتّم فيها الوصول إلى حلّ حاسم. ويعرّف قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأزمة (The Crisis - Lacrise) بأنها تغيّر مباغت في مسار مرض من الأمراض، ويتّصف عادةً بازدياد خطورة هذا المرض. وبالمعنى المجازي، فإن الأزمة هي وضع أو مدة حرجة وخطرة، وهي حالة عملية تطورية يحدث فيها انفصام توازن يعلن الانتقال الحتمي تقريباً إلى حالة أخرى. ويمكن القول: إن الأزمة هي حالة تصادم بين متناقضين. ويعرّف معجم العلوم الاجتماعية الأزمة بأنها مرحلة من مراحل الدورة الاقتصادية يختلّ فيها التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، وتتميّز بوجود فائض من السلع التي لا تجد من يشتريها، وانخفاض الأسعار، وزيادة عدد العاطلين، وانكماش التجارة الداخلية والخارجية، وتعدّد حالات الإفلاس. وتعرِّف موسوعة علم النفس الأزمة (Crisis) بأنها تغيّر حاسم، ولحظة حادة من اختلال التوازن.

لقد تعدّدت تعريفات الأزمة، فاختلفت في بعض الجوانب، واتّفقت في جوانب أخرى. فيعرِّف معجم العلوم الاجتماعية الأزمة بأنها موقف الأحداث المنتظمة والمتوقعة، واضطراب العادات والعُرف؛ مما يستلزم التغيير السريع لإعادة التوازن، وتكوين عادات جديدة أكثر ملاءمةً. ويعرِّف قاموس أكسفورد الأزمة بأنها ظرف انتقالي Transisisitonal يتّسم بعدم التوازن، ويمثّل نقطة تحوّل Turning Point في حياة الفرد أو الجماعة أو المنظمة أو المجتمع، وغالباً ما ينتج منه تغيّر كبير. ويعرِّف فهد أحمد الشعلان الأزمة بأنها حالة توتّر ونقطة تحوّل تتطلب قراراً تنتج منه مواقف جديدة، سلبيةً كانت أم إيجابية،

تؤثّر في مختلف الكيانات ذات العلاقة. ويعرِّف السيد عليوة الأزمة بأنها موقف عصيب يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية. ويعرِّف محمد رشاد الحملاوي الأزمة بأنها خلل يؤثِّر تأثيراً شديداً في المنشأة، كما أنها تهدّد الافتراضات الرئيسة التي تقوم عليها المنشأة. وهذا الأمر يعني أن الأزمة في جوهرها هي تهديد مباشر وصريح لبقاء المنشأة أو استمرارها. ويعرِّف إبراهيم العيسوي الأزمة بأنها حدث يتّصف بالآتي:

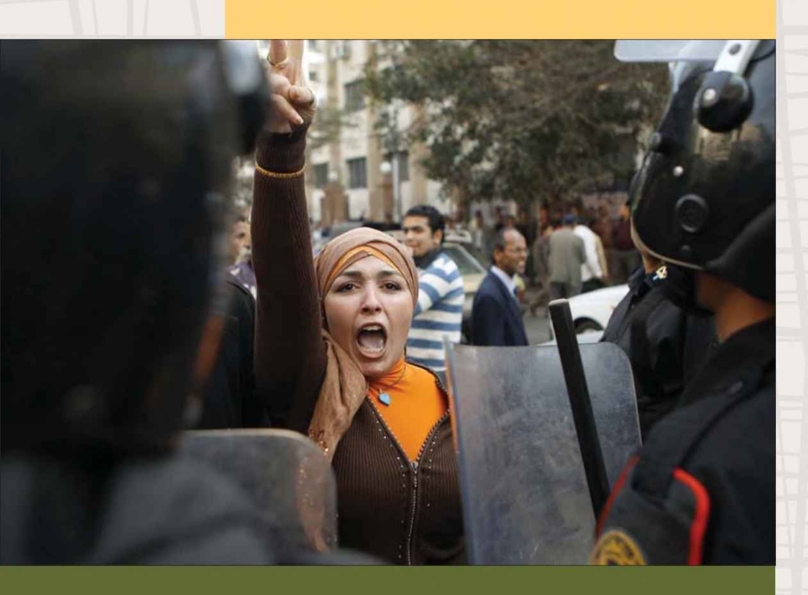
- أن يقع الحدث فجأةً دون توقّع، أو أن يكون توقّعه قد تمّ قبل وقوعه بوقت قصير جداً لا يتّسع لاتخاذ الإجراء المناسب لمواجهته.
- أن يتسبّب في وقوع خسائر مالية أو مادية أو بشرية أو نفسية.
- أن يتسبّب في خلق مشكلات جديدة لا تملك المنشأة الخبرة اللازمة لمواجهتها، أو ربما كانت الخبرة قليلةً وغير كافية.

كما عرَّف ألستار بوخان AL astair Buchan الأزمة في كتابه (إدارة الأزمات) بأنها تحدٍّ ظاهر أو ردّ فعل بين طرفين أو عدة أطراف، حاول كلّ منهم تحويل مجرى الأحداث لمصلحته. أما كورال بل Coral Bill، فإنها تعرِّفها في كتابها (اتفاقيات الأزمة) بأنها ارتفاع الصراعات إلى مستوى يهدّد بتغيير طبيعة العلاقات الدولية بين الدول. ويشير روبرت نورث Robert North إلى أن الأزمة الدولية هي تصعيد حادّ للفعل وردّ الفعل؛ أي: هي عملية انشقاق تحدث تغييرات في مستوى الفاعلية بين الدول، وتؤدي إلى إذكاء درجة التهديد والإكراه. ويشير نورث إلى أن الأزمات غالباً ما تسبق الحروب، لكن لا تؤدي كلها إلى الحروب؛ إذ تسوَّى سلمياً، أو تُجمَّد، أو تهدأ، إلا أنه يمكن دراستها بوصفها اشتراك دولتين أو أكثر في المواجهة نفسها. كما يعرِّفها جون سبانير John Spanir بأنها موقف تطالب فيه دولة ما بتغيير الوضع القائم، وهذا الأمر تقاومه دول أخرى؛ مما يخلق درجةً عاليةً من احتمال اندلاع الحرب.

وتُعرَّف الأزمة الإقليمية أو الدولية بأنها موقف مفاجئ تتّجه فيه العلاقات بين طرفين أو أكثر نحو المواجهة بشكل تصعيدي نتيجةً لتعارض قائم بينها في المصالح والأهداف، أو نتيجةً لإقدام أحد الأطراف على القيام بتحدٍّ يعدّه الطرف المدافع تهديداً لمصالحه وقيمه الحيوية؛ مما يستلزم تحرّكاً مضاداً وسريعاً للحفاظ على تلك المصالح، مستخدماً في ذلك مختلف وسائل

الأصل الطبي للأزمة

ارتبط تعريف الأزمة في معجمات اللغة العربية القديمة بالقحط وضنك العيش، لكن تطوّر العلاقات البشرية جعله يعبّر عن كثير من المشكلات التي صنعها الإنسان ثم لم يستطع تجاوزها؛ فالأزمات في العصر الحاضر تجاوزت أزمة المعيشة لتدخل في كل شيء، وتمّ استخدام مصطلح الأزمة في وصف حال كثير من المشكلات التي يواجهها المجتمع، ولم يتم استخدامه رسمياً في المجتمعات النامية إلا نادراً؛ مما يعرقل مهمة البحث عن الحلول المجدية لمعالجتها. ومن وجهة نظري، فإنه لا يستطيع أحد أن يتجاوز أزماته إلا بمواجهتها، ثم الاعتراف بثقل تبعاتها، ثم العمل على مواجهتها. وعادةً لا يجدي الاعتراف بالأزمة شيئاً إذا لم يصاحبه عمل دؤوب يؤدي في النهاية إلى الخروج منها. ويمكن إرجاع الأصل التاريخي لمصطلح الأزمة إلى علم الطب الإغريقي القديم؛ إذ استخدم هذا المصطلح للدلالة على وجود نقطة تحوّل مهمة، أو لحظات مصيرية في تطوّر المرض، يتوقف عليها إما شفاء المريض خلال مدة قصيرة، وإما موته. ثم استخدم المصطلح بعد ذلك في كثير من مجالات الحياة الأخرى؛ مثل: المجالات السياسية، والدولية، والإدارية، والاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية.



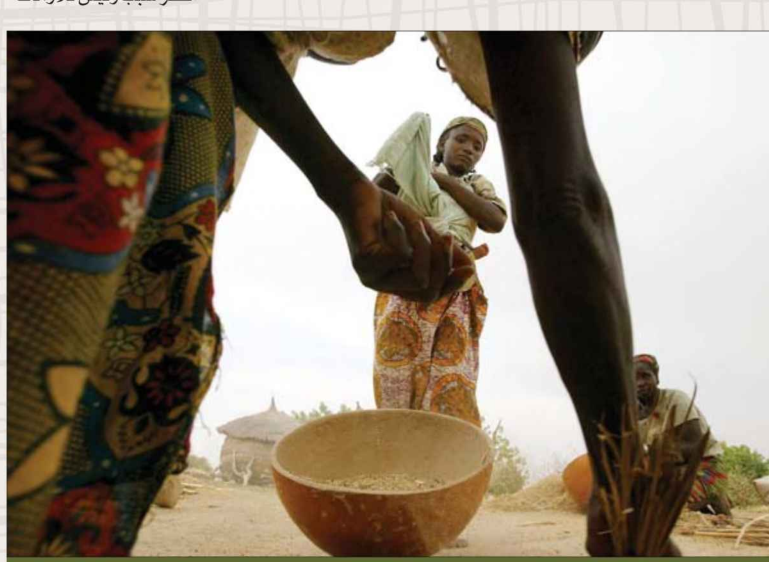
الضغط بمستوياتها المختلفة، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم عسكرية. كما تُعرف الأزمة بأنها تهديد خطر أو غير متوقّع لأهداف الأفراد والمنظمات والدول وقيمهم ومعتقداتهم وممتلكاتهم، التي تحدّ من عملية اتخاذ القرار. أما الأزمة على المستوى الوطني، فهي الأزمة الشاملة التي تعصف بالأمن الداخلي والخارجي، وتهدد كيان الدولة بالكامل؛ كاحتلال دولة أو التهديد باحتلالها؛ كالأزمة العراقية - الكويتية، وأزمة الشرق الأوسط الناتجة من احتلال إسرائيل دولة فلسطين.

نشوء الأزمة وخصائصها

للأزمة بعض الخصائص المعروفة، منها: المفاجأة، وقلة الوقت، والإرباك في صناعة القرار، وعدم وفرة المعلومات، وعدم توافر الإمكانات، والتوتر والإحساس بالخطر.

وكما أن لكلّ شيء سبباً فإن هناك عوامل كثيرة تسبّب الأزمة، منها: التخلف، والجهل، والفقر، والبطالة، والأمراض، والفتن الطائفية العرقية، وندرة الموارد، والكوارث الطبيعية والصناعية، والنزاع، وعدم الاستقرار الإقليمي والدولي. لذا يمكن لنا أن نصنّف أسباب نشوء الأزمات على النحو الآتي:

الفقر سبب رئيس للأزمات



- أسباب كارثية: وهي طبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والتصحّر وشحّ المياه وجميع الأسباب التي لها علاقة بالبيئة، وصناعية كالتسرّب الإشعاعي والتسرّب الغازي كتشيرنوبل مثلاً، وبشرية كالحروب والصراعات المسلحة.
- أسباب اجتماعية: كالظلم الاجتماعي والتفرقة العنصرية، والتوترات الطائفية والعرقية والأمنية، والتخلف والجهل، والانفجار السكاني.
- أسباب اقتصادية: الفقر، والبطالة، وانخفاض مستوى دخل الفرد، وغلاء المعيشة، وعدم توزيع الثروة بشكل عادل، وعدم استقرار السوق وتذبذب الاقتصاد.
- أسباب سياسية: الصراع السياسي على السلطة، والفشل السلمي في تداول السلطة، والصراع بين مراكز القوى والنفوذ، والتوترات الحدودية، والصراعات المسلحة، والمتغيّرات الإقليمية والدولية.
- أسباب فنية: سوء الإدارة، وسوء الفهم، وسوء التقدير والتقويم، وتعارض المصالح والأهداف، والأخطاء البشرية، وعدم استيعاب المعلومات المتوافرة، واليأس والإحباط بين صفوف القياديين، والشائعات وانتشارها، والرغبة في السيطرة على متّخذي القرار.

مراحل نشوء الأزمة

على الرغم من أن المفاجأة إحدى خصائص الأزمة إلا أن لها بعض المؤشرات والدلالات التي تدلّ على قرب حدوثها؛ فهي ليست وليدة اللحظة إلا في بعض الأزمات الطبيعية؛ كالبراكين والزلازل مثلاً، وتمرّ من خلال سلسلة من المراحل، هي:

- مرحلة الإنذار المبكر: وهي مؤشرات ودلالات تنتج من الأزمة وتشير إلى قرب وقوعها.
- مرحلة النشوء والتبلور: وهي المرحلة التي تظهر فيها الأزمة، وتنضج معالمها.
- مرحلة تطوّر الأزمة وانتشارها: وهي مرحلة نمو الأزمة وتصاعدها وبداية انتشارها.
- مرحلة الانفجار: وهي مرحلة ذروة الأزمة التي تبلغ فيها شدتها.
- مرحلة التثبيت: وهي المرحلة التي ترسخ فيها الأزمة، وتستكمل



الكوارث البشرية الطبيعية تهدد الاستقرار

عناصرها التي تهدد الأمن والاستقرار.

- مرحلة إيجاد الحلول: وهي المرحلة الأخيرة التي يتم فيها البحث عن الحلول للخروج من الأزمة، أو التقليل من آثارها.

وقد قسم محمد فتحي في كتابه (الخروج من المأزق: فن إدارة الأزمات) مراحل نشوء الأزمة خمس مراحل، هي:

- مرحلة ميلاد الأزمة: وهي المرحلة التي يظهر فيها إحساس غامض بوجود شيء ما يلوح في الأفق، وهذا الإحساس ينذر بخطر غير محدد المعالم، أو المدى الذي سيصل إليه. ويتوجب على صاحب القرار التعامل مع هذه المرحلة وإلا ستنتقل إلى المراحل التالية.
- مرحلة نمو الأزمة واتساعها: وفي هذه المرحلة تبدأ الأزمة بالنمو عندما لا يتم السيطرة عليها في المرحلة الأولى؛ إذ تستمد قوة نموها من عوامل داخلية وخارجية عندما تظهر الأزمة للعيان ولا يمكن إنكارها أو تجاهلها.
- مرحلة نضج الأزمة: وهي المرحلة الخطيرة التي تصل فيها الأزمة إلى أقصى قوتها وعنفها، ويصعب السيطرة عليها، ويبدأ التدمير والخسائر حتى تنحسر الأزمة وتنتهي.
- مرحلة انحسار الأزمة وتقلّصها: وتبدأ فيها الأزمة بالانحسار والتقلص نتيجة مجابهتها والاصطدام معها وفق خطط مدروسة تستمر في التعامل معها حتى تصل بها إلى المرحلة التالية.
- مرحلة اختفاء الأزمة: تتلاشى الأزمة في هذه المرحلة، وتختفي عن السطح، ويختفي ذكرها، إلا وجودها سابقةً تاريخيةً يمكن الاستفادة من دروسها.

الأبعاد المختلفة للأزمة

عندما تنشأ الأزمة وتتفاقم في ظلّ مسبّبات وعوامل داخلية وخارجية تتفاعل معها كلّ مناحي الحياة الاقتصادية



والاجتماعية والسياسية والنفسية والأمنية، وتتّجه الأزمة في دورة حياتها حسب مستواها إلى تهديد بقاء الدولة أو المنظمة أو الفرد، وتبرز تداعيات سلبية تنعكس على الوضع العام مدداً قد تطول قبل أن يتم التعامل مع هذه الأزمة لإنهائها، أو التقليل من آثارها، والاستفادة من دروسها السابقة؛ منعاً لتكرارها أو حدوث أزمات أخرى. وتتمثّل أبعاد الأزمة في:

– البُعد السياسي:

تعدّ الأزمات ذات البعد السياسي من أخطر الأزمات التي تعرّض الدولة للتفتيت والانهيار والخطر؛ بسبب حساسية وضعها، وشمولية تأثيرها، وارتباطها بالأبعاد المحلية والإقليمية والدولية. كما تتأثر فيها المصالح الوطنية، وتبرز جماعات المعارضة، وتنشط الحركات والعناصر الانفعالية، وتخلق نوعاً من عدم الاستقرار والتوازن السياسي بين القوى السياسية الوطنية؛ مما يؤدي إلى حالة من الاحتقان بين شرائح المجتمع تدفعها إلى الاحتجاجات والمظاهرات والعصيان المدني. وإذا استمرت هذه الأزمة وتطورت ولّدت أزمات مصاحبة يصعب مواجهتها وحلها، وتؤثر تأثيراً كبيراً في شرائح المجتمع، وتدفعهم إلى الشغب أو العصيان المدني؛ مما يهدد النظام أو مفاصل القرار السياسي فيه، كما حدث للرئيس زيادبري في الصومال، وسوهارتو في إندونيسيا، وماركوس في الفلبين، وشاوشيسكو في رومانيا، والعصيان المدني من خلال الحركة البرتقالية في كرواتيا. وتضخّم الأزمة، وعدم السيطرة عليها، قد يستدعيان تدخلات إقليمية ودولية؛ مما يجعل الأزمة تتجاوز بعدها المحلي، وهنا تبدأ التدخلات والاشتباكات المعقدة التي تزيد الوضع تعقيداً؛ مما يصعب وضع الحلول لها. وقد تستدعي هذه الأزمات أيضاً تعاوناً دولياً لحلها؛ كأزمة احتلال الكويت، والأزمة في كوسوفو. وقد تحتاج أيضاً إلى قرارات أمنية، وفرض عقوبات؛ كأزمة الملف النووي الإيراني، والملف النووي الكوري الشمالي. كما تستدعي أيضاً الأزمات الناتجة من الكوارث الطبيعية مساعدات دولية، كما حصل في فيضانات باكستان، وتسونامي شرق آسيا، وزلازل تركيا وإيران.

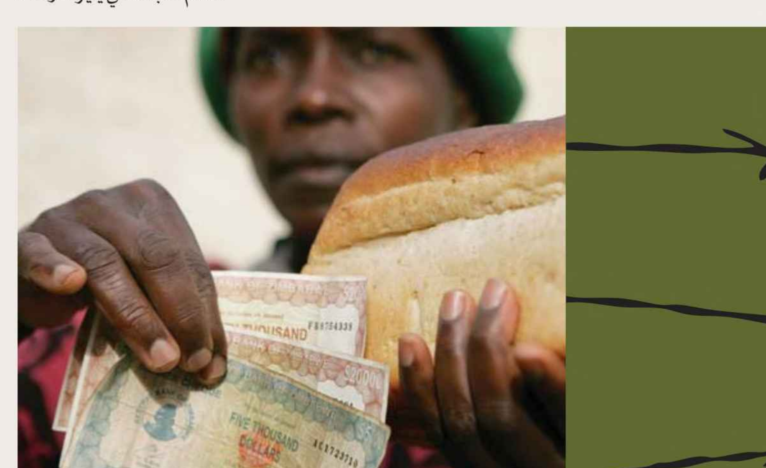
– البُعد الاقتصادي:

إن أيّ أزمة، مهما كان نوعها أو مستواها، تؤثّر أول ما تؤثر في الاقتصاد والحركة الاقتصادية لدى الدول المتأثرة بها، فتعطّل القوة المنتجة؛ مما يسبّب الكساد والركود، أو انخفاض الأسعار وعدم القدرة على التصريف، تبدأ بعدها المنشآت الاقتصادية بالانحدار، وهو ما حصل للعالم بعد المتغيرات الدولية والأزمات السياسية التي عصفت به في عامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩م، وتسبّبت في كوارث اقتصادية ابتداءً من انهيارات أسواق الأسهم العالمية، وإفلاس أكثر من ٢٠٠ بنك ومصرف حول العالم، منها ١٢٧ بنكاً ومصرفاً في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وهي التي تعدّ أغنى اقتصادات العالم وأضخمها. كما أدّت هذه الأزمات إلى انخفاض العملة، وحدوث ظاهرة التضخم، وارتفاع معدل نمو الصادرات، وارتفاع أسعار الفائدة، وانتشار البطالة، وتفاقم أزمة النقد الدولية، وارتفاع سعر الذهب، وتجاوز سعر برميل البترول ٨٠ دولاراً؛ مما شكّل أزمة في الطاقة العالمية نتج منها أزمة في الغذاء، وهو ما دفع معظم دول العالم إلى تغيير سياساتها الاقتصادية لحماية اقتصادها من أسوأ أزمة اقتصادية مرّ بها العالم منذ الحرب العالمية الثانية؛ إذ توقّع المحلّلون الاقتصاديون في تقرير آفاق الاقتصاد العالمي لعام ٢٠٠٩م، الذي يصدره البنك الدولي، أن يكون لتراجع النشاط الاقتصادي تأثير بالغ في النمو في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية والبلدان النامية عامةً. وقُدِّر معدل نمو الناتج المحلي العالمي عام ٢٠٠٨م بـ٢,٥٪، و٩٪ عام ٢٠٠٩م. كما تشير التقديرات الواردة في تقرير الاستثمار العالمي عام ٢٠٠٩م إلى تراجع الاستثمارات الأجنبية المباشرة بنسبة ٢٠٪ عام ٢٠٠٨م، ووجود زيادة متوقعة في عام ٢٠٠٩م.

– البُعد الاجتماعي:

تنشأ الأزمة بفعل أسباب تطرقنا إليها سابقاً، وهي أسباب طبيعية، أو بشرية، أو هما معاً. لكن تأثير الأزمة يتعلق بالإنسان

الظلم الاجتماعي يثير الأزمات





نفسه؛ لذلك لا يمكن وصف الأزمة بأنها أزمة إلا عندما تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في الإنسان فرداً أو مجتمعاً أو دولةً، وينتج منها قتل وتشريد وتدمير ممتلكات. وهذا البعد الاجتماعي هو الأخطر تأثيراً، بل يمتد تأثيره سنين طويلة، ويشمل تأثيره القتل والتشريد، والفوضى وعدم الاستقرار، كما أنه يقود إلى أزمات أخرى، أهمها: أزمة سكن، وأزمة غذاء، وأزمة صحة وعلاج، وأزمة نقل، وأزمة أمن، إضافةً إلى بعض الآثار النفسية التي تترتّب عليه. كما يدفع هذا البُعد إلى بعض السلوكيات الاجتماعية السيئة؛ مثل: انتشار السرقة، وانتشار الاغتصاب، وممارسة الفساد كالمخدرات ونحوها، وممارسة الجريمة، وزيادة البطالة وانتشار الفقر.

– البُعد الأمني:

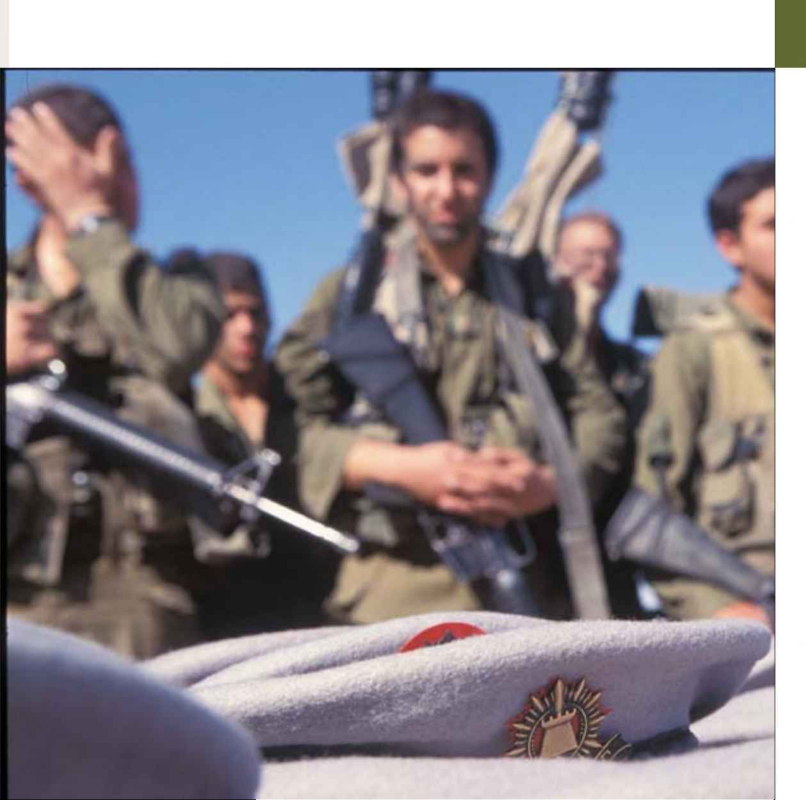
يرافق الأزمات كثير من الإرباك والفوضى، وانتشار الإشاعات، وعدم وضوح الرؤية، وقلة المعلومات المتوافرة، كما



الأزمات.. أسباب وأشكال

تُعرَّف الأزمة الإقليمية أو الدولية بأنها موقف مفاجئ تتّجه فيه العلاقات بين طرفين أو أكثر نحو المواجهة بشكل تصعيدي نتيجةً لتعارض قائم بينها في المصالح والأهداف

العددان ٤١٩-٤٢٠ / الجماديان ١٤٣٢هـ



أنها تحدث نوعاً من الفراغ الأمني الذي قد يشكّل بيئة مناسبة لانتشار كلّ من:

العنف السياسي: إذ تستغلّ بعض القوى السياسية الأزمة، وما توفّره من ظروف ملائمة للصراعات وتصفية الحسابات، فتقوم بأعمال قد تهدّد الأمن الوطني، وهو ما يجري الآن في العراق وفلسطين ولبنان وإيران وباكستان.

العنف الاجتماعي: فتُستغلّ الأزمة في إذكاء الاقتتال الطائفي، والصراعات العرقية، والتفرقة العنصرية، وتخلق قلقاً وتوتراً بين أطياف المجتمع وشرائحه، كما حصل في الولايات

المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣م عندما تعرّضت ولاية كاليفورنيا لأحداث شغب نتجت من أزمة بين السود والبيض نُهبت فيها المتاجر والمخازن، ومورس فيها القتل والاغتصاب؛ مما أدى إلى تدخّل الحرس الوطني الأمريكي للسيطرة على الوضع.

الجريمة المنظمة: فالأزمة بيئة ملائمة ومناسبة لانتشار الجريمة، وتحوّلها إلى جرائم منظمة؛ إذ تقوم العصابات الإجرامية بتوسيع نشاطها الإجرامي، فتقوم بالسلب والنهب والاغتصاب والخطف، وتتحول إلى عوامل تهديد للأمن الوطني، كما هو حاصل الآن في الصومال.

الفساد المالي والإداري: من أهم ما يترتب على الأزمة من آثار هو الفساد المالي والإداري نتيجةً للقلق والتوتر لدى متّخذ القرار؛ مما يجعله عاجزاً عن مواجهة ذلك بسبب ضيق الوقت وقلة المعلومات، فتنتشر الرشوة، وغسل الأموال، وتجارة المخدرات، وعمليات التهريب، وتجارة البشر.

الإرهاب: إذ يستغلّ الإرهابيون الأزمات لينشّطوا خلاياهم النائمة، ويقدموا أنفسهم بوصفهم منقذين ومصلحين، ويبدؤون بممارسة أنشطتهم الإرهابية، مستغلين انشغال أجهزة الدولة بالأزمة وسبل مجابهتها.

لذلك يعدّ البعد الأمني للأزمة من التحديات الكبيرة التي تواجهها الدولة لحماية مواطنيها ومؤسساتها؛ إذ تجنّد الطاقات البشرية والمالية كافةً لمواجهة الأزمات الأمنية وتداعياتها.

- البُعد الإقليمي والدولي:

للأزمات بعد إقليمي ودولي يؤثّر في دول المنطقة عامةً، وقد يتعدى إلى مدى أبعد يشمل عدة دول؛ فالملف النووي الكوري الشمالي أثّر في الأمن في شرق آسيا والباسفيك، وفي رفع حدة الصراع بين الكوريتين الشمالية والجنوبية؛ مما استدعى تدخّل الولايات المتحدة الأمريكية والصين واليابان لنزع فتيل الأزمة، ومنعها من الانفجار. وكذلك الملف النووي الإيراني أصبح مصدر قلق لدول المنطقة، ومصدر خوف للولايات المتحدة الأمريكية ودول غربية. كما أن الأزمات الاقتصادية وأزمات الطاقة والأزمات الأمنية والعسكرية باتت تهدد الأمن والسلم العالميين؛ مما جعل العالم يحشد طاقاته وجهوده للتصدي لهذه الأزمات؛ مثل: مكافحة الإرهاب، والجريمة، والمخدرات، والتقليل من آثار الأزمة الاقتصادية العالمية.

وقد تطوّرت صور التعاون الدولي في التصدي لأبعاد الأزمات من خلال إبرام اتفاقيات دولية، وانتشار منظمات إقليمية ودولية متخصّصة لمجابهة الأزمات الناتجة من الكوارث الطبيعية والبشرية التي تقع في أيّ دولة من دول العالم من خلال منظمة الأمم المتحدة والمؤسسات المرتبطة بها.

إدارة الأزمة

سبق لنا أن عرّفنا الأزمة، وتعرّفنا أنواعها، وخصائصها، وأسبابها، وعرفنا أن الأزمة ظاهرة ترافق سائر الأمم والشعوب في جميع مراحل نشوئها وتطورها، ولو نظرنا إلى تاريخ هذه الأمم لوجدنا أن كثيراً من الأزمات توسّطت مراحل مهمة في حياتها؛ مما جعلها تحرّك الأذهان، وتشغل الصراعات، وتحفز الإبداعات، وتنشئ أفكاراً جديدة من أجل دراسة الأزمة، وتحليلها، ومحاولة الخروج منها بأقلّ الخسائر، والتصدي أيضاً لما قد يتولّد عنها من أزمات أخرى. ومن خلال هذه الظروف والمتغيرات المتسارعة والمتلاحقة تطورت المجتمعات البشرية بفعل حسن الإدارة، وحسن استخدام الموارد والإمكانات وتطويرها؛ مما يجعلنا ندرك أن الأزمات لا تكون ضارةً إذا أُديرت إدارةً سليمةً، بل إنها تشكّل نقطة تحوّل إيجابية وحافزة إلى التقدم والتطور. والأمثلة على هذا في العالم كثيرة، أهمها: اليابان، وألمانيا، وفرنسا، وغيرها من دول العالم المتقدم، الذين مرُّوا بأزمات عصبية عصفت بهم، وأثّرت فيهم، لكنهم لم يستسلموا، وأداروا أزماتهم بكل قوة واقتدار؛ مما جنّبهم الإخفاق والانهيار، واستعادوا قوتهم على كلّ الصّعُد وفي جميع المجالات؛ حتى أصبحت هذه الدول اليابان وألمانيا وفرنسا من كبرى اقتصاديات العالم وأكثرها إنتاجاً.

وهنا تبرز لنا أهمية إدارة الأزمة، التي تعدّدت تعريفاتها بتعدّد مفاهيمها ووجهات النظر حولها، وتباين الاختلاف من شخص إلى آخر، وتنوّع الآراء والأفكار؛ فقد عُرِّفت إدارة الأزمة بأنها كيفية التغلب على الأزمة أو الكارثة بالأساليب العلمية والإدارية



> تعدّ الأزمات ذات البعد السياسي من أخطر الأزمات التي تعرّض الدولة للتفتيت والانهيار والخطر؛ بسبب حساسية وضعها، وشمولية تأثيرها، وارتباطها بالأبعاد المحلية والإقليمية والدولية

المختلفة، ومحاولة تجنّب سلبياتها، والاستفادة من إيجابياتها. كما عُرِّفت بأنها تجميع الطاقات المتاحة داخليةً وخارجيةً، وتعبئتها، وتوجيهها للخروج من مصيبة أو شدة تقع، سواء أكان للإنسان دخل في حدوثها أم لا دخل له فيها كالحوادث القدرية، ويكون دور الإنسان في الأحداث القدرية التخفيف من آثارها، وتجنّب مناطقها إن أمكن. وعُرِّفت إدارة الأزمة أيضاً بأنها عملية معالجة الموقف، والنجاة منه من دون خسائر أو بأقلّ خسائر ممكنة. ويمكن تعريفها أيضاً بأنها سلسلة الإجراءات الهادفة إلى السيطرة على الأزمة، والحدّ من تفاقمها؛ حتى لا ينفلت زمامها مؤدياً إلى نشوب خلاف، كما أنها مجموعة من الخطط والأساليب والإستراتيجيات والأنشطة الإدارية الملائمة لأوضاع استثنائية بغية السيطرة على المشكلات واحتوائها والحفاظ على توازن المؤسسة أو المنظمة.

وعـرَّف محمد فتحي إدارة الأزمـة في كتابه (فن إدارة الأزمـات) بأنها العملية الإداريـة المستمرة التي تهتم بالتنبُّؤ بالأزمات المحتملة عن طريق الاستشعار، ورصد المتغيرات البيئية الداخلية والخارجية المولدة للأزمة، وتعبئة الموارد والإمكانات المتاحة لمنع الأزمـة، أو الإعداد للتعامل معها بأكبر قدر ممكن من الكفاءة والفاعلية بما يحقق أقلّ قدر ممكن من الأضرار للجميع، مع ضمان العودة إلى الأوضاع الطبيعية في أسرع وقت وبأقلّ تكلفة ممكنة، وكذلك دراسة أسباب الأزمة لاستخلاص النتائج؛ لمنع حدوثها، أو تحسين طرائق التعامل معها مستقبلاً،

مع محاولة تعظيم الفائدة الناتجة منها إلى أقصى درجة ممكنة. ويرى الدرة أن إدارة الأزمات تعني الكيفية التي يتم بواسطتها التغلب على الأزمات بالأدوات العلمية والإدارية المختلفة، والتحكم في ضغطها، ومسارها، واتجاهاتها، وتجنّب سلبياتها، والاستفادة من إيجابياتها. كما عرّفها بأنها تساهم في إزالة كثير من عوامل المخاطرة وعدم التأكد التي تواجه المنظمات في الأزمات؛ مما يمكّن تلك المنظمات من السيطرة والتحكم في مصيرها ومستقبلها. ويرى الدكتور زيد منير عبوي أن إدارة الأزمات هي منهجية التعامل مع الأزمات في ضوء الاستعدادات، والمعرفة، والوعي، والإدراك، والإمكانيات المؤثرة، والمهارات، وأنماط الإدارة السائدة، أو هي تطبيق وظائف العملية الإدارية خلال البحث عن أسباب الأزمة؛ لتحديد تلك الأسباب، وأضواء أبعادها، في انتظار التوصّل إلى حلول مناسبة لها.

وهناك تعريفات أخرى خاصة بإدارة الأزمات يجب التفريق

على الرغم من أن المفاجأة إحدى خصائص الأزمة إلا أن لها بعض المؤشرات والدلالات التي تدلّ على قرب حدوثها؛ فهي ليست وليدة اللحظة إلا في بعض الأزمات الطبيعية

بينها، تُعرف بأنها صناعة الأزمات للتحكم والسيطرة على أزمات أخرى، أو هي افتعال أزمات أخرى طارئة للتغطية على أزمة قائمة بهدف تحويل الرأي العام. والفرق بين إدارة الأزمة وصناعة الأزمة هو أن الأولى تعمل على احتواء الأزمة وإنهائها، والثانية تعمل على إنشاء الأزمة والاستفادة منها. وعلى الرغم من وضع تعريفات لإدارة الأزمة وفق أبعادها وتخصصاتها إلا أن التعريفات أجمعت على حشد الطاقات والإمكانات، واستغلال الوقت للتقليل من آثارها، والحد من انتشارها، والاستفادة من دروسها في المستقبل.

إستراتيجية مواجهة الأزمة

لمواجهة الأزمة عدة إستراتيجيات، هي: تحديد ماهية الأزمة لتعرّفها، وإنشاء إدارة قيادة وسيطرة للتحكم بها، وحشد الطاقات والإمكانات للتمكّن من التعامل معها، وإنشاء قاعدة للمعلومات والبيانات لمعرفة خصائصها وتاريخها، وتحديد الأهداف المراد مهاجمتها في إطار الأزمة وفق الأضعف أو الأقوى لتسهيل مهاجمتها، وتحديد المهام وتفويض الصلاحيات لتطبيق المرونة في القرارات، والبدء بمجابهة الأزمة للتعامل معها للقضاء عليها، واستخدام المخرجات للتغذية المرتدة للاستفادة منها في سياق العلاج الآني والمستقبلي لخنق الأزمة وعدم عودتها مرة أخرى وعدم السماح لها بتغيير شكلها أو التستّر عليها.

أساليب مواجهة الأزمات

مهما تعدّدت أشكال الأزمات وأنواعها، ومهما اختلفت خصائصها وأسبابها وأساليب مواجهتها، تجتمع على الحد الأدنى من التدهور والتقليل من الخسائر في إطار العمل وإستراتيجية مواجهة الأزمة. وأبرز هذه الأساليب وأهمها هي:

– الأساليب التقليدية:

وهي تتعدّد لتشمل كلاً من:

- إنكار الأزمة وعدم إعلامها: ويستخدم للإدارات المتسلّطة التي تعتقد أن إصرارها على الإنكار يمكّنها من السيطرة على الموقف.
- كبت الأزمة: ويتم من خلال استخدام العنف والقوة لتدمير العناصر الأولية للأزمة، وعدم الاستجابة لأيّ ضغوط، والتحرّك منها يكون سريعاً ومباشراً.
- التقليل من شأن الأزمة: ويتم عن طريق التقليل من تأثيرها ونتائجها بعد الاعتراف بها حدثاً فعلياً لكنه غير مهم.
- تفريغ الأزمة أو تقسيمها: ويكون بإخراج ما في نفوس مصادر قوى الأزمة من غليان شديد عن طريق عمل فتحات جانبية حول الأزمة تقوم بتخفيف الضغط من خلال دراسة الأزمة، ودراسة قوى الضغط على الأزمة، وكذلك تصارع المصالح، ومعرفة أطراف علاقات قوى الضغط.
- تمييع الأزمة: ويحدث ذلك من خلال تشكيل لجان لبحث

الأزمـة، ومعرفة من هم الذين أدوا إلى وجودها، ومن ثَمّ تأجيل هذه اللجان وتفريعها حتى تتلاشى.

- عزل قوى الأزمـة: ويتم عن طريق معرفة قواها المؤثرة في إحداثها، ومن الذي يقوم بتصعيدها ليتم عزلها، وهنا يجب معرفة القوى الصانعة والمؤيدة للأزمة والمهتمة بها.

– الأساليب غير التقليدية:

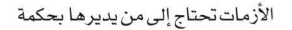
وتتمثّل في الآتي:

- الفريق المتكامل: وهو الفريق الذي يضم كل التحقيقات ذات العلاقة بالأزمة؛ لتجنّبها، ودراستها، وتحديد سبل التعامل معها، وتحديد خطة العمل التي تكفل تحقيق النجاح.
- ادخـار الاحتياطات: وهـو يستخدم في الكيانات الإنتاجية الصناعية التي تحتاج إلى مواد خام لعمليات الإنتاج، وبذلك يمكنها مواجهة أزمة النقص في المواد الخام.
- المشاركة الديمقراطية: وهذا الأسلوب شديد التأثير عندما تتعلق الأزمة بالعنف البشري.
- تفتيت الأزمة: ويتم فيها تفتيت قوى الأزمة إلى أجزاء صغيرة ليسهل التعامل معها منفردةً، ويتم في ثلاث مراحل، هي: الاصطدام، وإعطاء البدائل، والتفاوض مع كل فريق.
- احتواء الأزمة: ويتم فيها محاصرة الأزمة وحصرها في نطاق ضيق ومحدود، وتجميدها عند المرحلة التي وصلت إليها، مع استيعاب الضغوط المولدة لها في الوقت نفسه لإفقادها قوتها.
- تدمير الأزمـة ذاتيـاً: وهـو أصعب الأساليب، ويستخدم في الأزمـات ذات الضغط العنيف والمدمر التي يُقفز فيها إلى المعلومات؛ إذ يتم التأثير في مكان الضعف فيها، واستقطاب بعض القوى ذات التأثير المباشر في قوى الدفع في الأزمـة؛ بهدف التأثير في استقرارها، وإفقادها التماسك، وإيجاد حالة من الصراع الداخلي؛ مما يؤدي إلى تدميرها.
- إعلان الوفر الوهمية: وهو عامل نفسي يستخدم لمجابهة حالة الخوف والذعر، خصوصاً في الأزمات التموينية والصحية.
- تحويل مسار الأزمـة: ويستخدم هـذا الأسلوب في الأزمـات العنيفة التي لا يمكن إيقاف تصاعدها، فيتم تحويل مسارها إلى مسارات أخرى بديلة يسهل احتواؤها.

– الأسلوب العلمي:

وهـو الأسلوب الأمثل والأكـثر ضماناً للسيطرة على الأزمـة، والتعامل معها وفق خطوات علمية متكاملة ومترابطة، وتتمثل في الآتي:

- تقرير الموقف والدراسة المبدئية لأبعاد الأزمـة: ويتم فيه


الأزمات تحتاج إلى من يديرها بحكمة



تحديد القوى المسببة للأزمة، ومدى ما وصلت إليه من نتائج، وطرائق الحلّ المضادة.

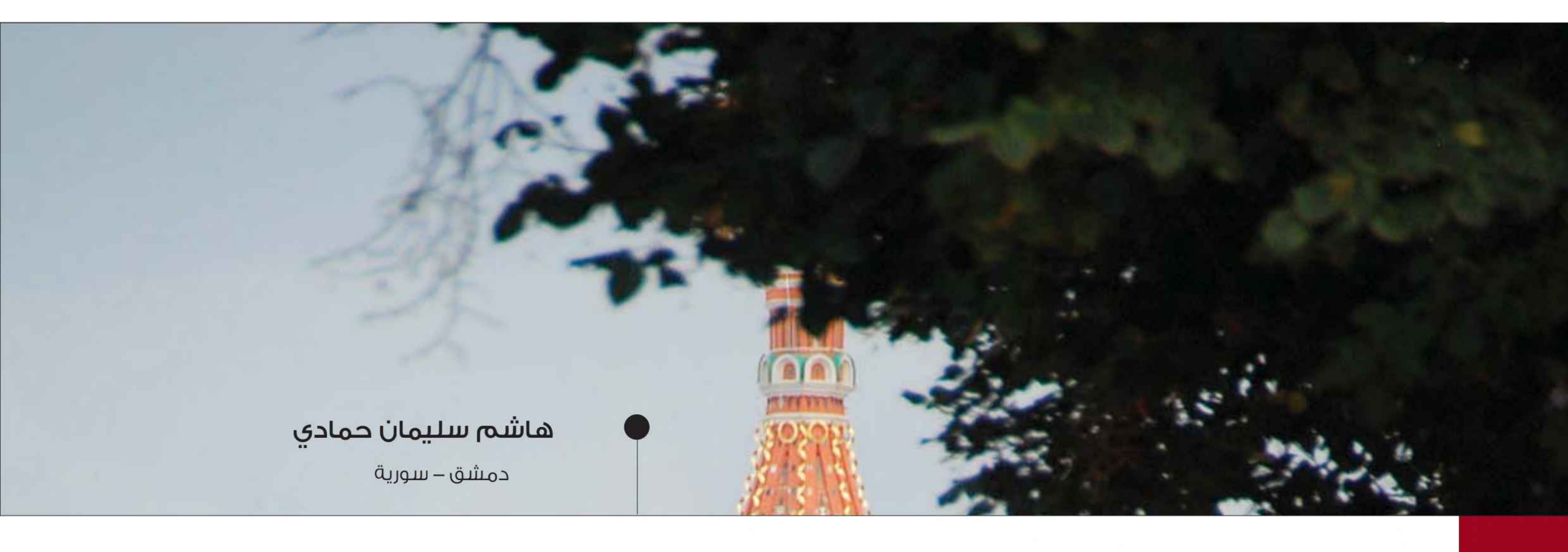
- تحليل الموقف والدراسة التحليلية: ويتم فيه تحليل الأزمة لمعرفة المصالح الكامنة فيها، والأهداف غير المعلنة، والعوامل المساعدة على إيجاد الأزمة، ثم تحليل أسباب التوتر، ونقاط الضعف والقوة، وكذلك الوقوف على طبيعة الخطر الذي تشكّله الأزمة، وأعباء استمرارها، ومدى تأثيرها.
- التخطيط العلمي والمتكامل للتعامل مع الأزمة: ويتم فيه إعداد الخطط والإجراءات والبرامج اللازمة لمواجهة الأزمة، وترتيب أسبقياتها، وإعادة هيكلة الموارد البشرية والمادية المتاحة، وتحديد المسؤوليات، وحشد كلّ الطاقات، وتحديد حجم المساعدات الخارجية المطلوبة ونوعها، وتحديد التوقيت الملائم لبدء تنفيذ الخطة.
- التدخل العقلاني لمعالجة الأزمة: وتعتمد بداية معالجة الأزمة على المواجهة السريعة، التي تتطلب قرارات سريعة وحاسمة أحياناً، إلا أنه في هذه المرحلة يتم استيعاب الأزمة، ومحاولة تحويل مساراتها؛ مما يسمح بإزالة الآثار الناتجة من عملية المواجهة، ومحاولة إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الأزمة، ويصبح التفكير والتصرف العقلاني هو السائد.

الإدارة بالأزمات

هو أسلوب معروف، ويستخدم كثيراً في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ويقوم مفهوم الإدارة بالأزمات على افتعال الأزمات، وإيجادها من العدم، وإدارتها والتعايش معها بوصفها وسيلة للتغطية والتمويه على المشكلات القائمة التي تواجه الكيان، سواء أكانت منظمةً أم دولةً. وتعدّ الإدارة بالأزمات من العلوم الحديثة؛ فهي علم وفن، وصناعتها تحتاج إلى إدارة ذكية وبصيرة وبعيدة المدى. وتعدّ الولايات المتحدة الأمريكية من مهندسي الإدارة بالأزمات في الوقت الحاضر، وتتقن هذا النوع من الفن السياسي بمهارة عالية. كما أن إسرائيل تستخدمها في إدارة مباحثات السلام، وإخفاق العملية السلمية مع الفلسطينيين، وتستخدمها إيران أيضاً في إدارة ملفها النووي.

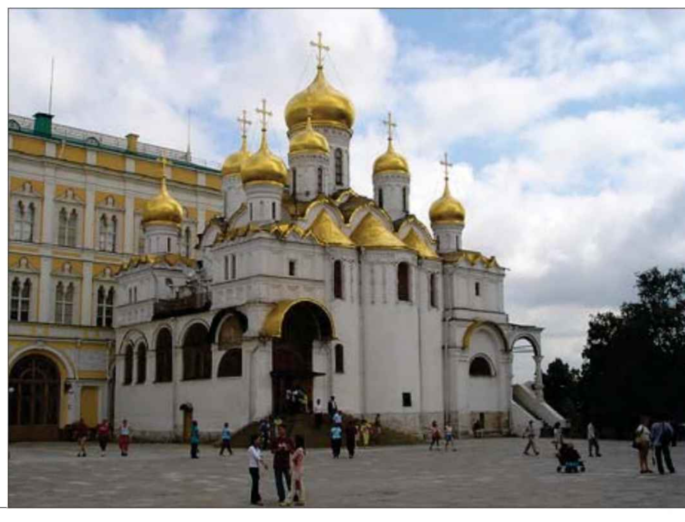
المـــراجـــع

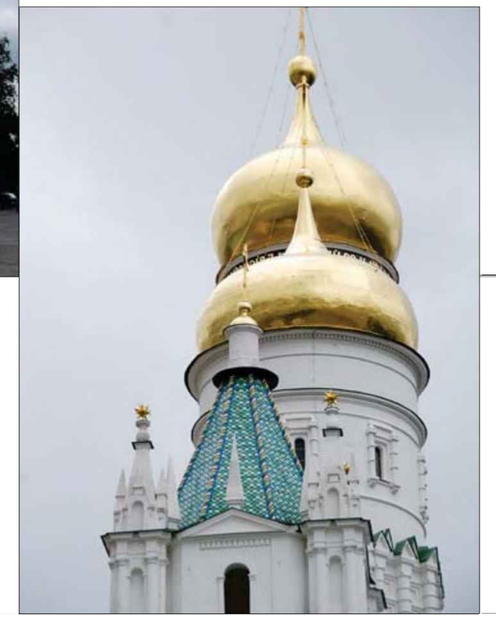
- إبراهيم العيسوي، مناهج مواجهة الأزمات، الكويت: المعهد العربي للتخطيط، ١٩٩٢م.
- أحمد زكي بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٣م.
- السيد عليوة، صنع القرار السياسي في منظمات الإدارة العامة، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
- عباس رشدي العماري، إدارة الأزمات في عالم متغيّر، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣م.
- ابن منظور، لسان العرب، مادة (أزم).
- ياسين صلواتي وآخرون، الموسوعة العربية الميسّرة والموسّعة، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م.
- إبراهيم مدكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- رولان دورون وفرانسواز بارو، موسوعة علم النفس، لبنان: منشورات عويدات.
- سامي ذبيان واخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لندن: رياض الريس للكتب والنشر.
- فهد أحمد الشعلان، إدارة الأزمات: الأسس والمراحل والآليات، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٩٩٩م.
- محمد رشاد الحملاوي، إدارة الأزمات: تجارب محلية وعالمية، القاهرة: مكتبة عين شمس، ١٩٩٣م.
- مدحت محمد محمود أبو النصر، مفهوم الأزمات: منظور إداري واجتماعي، الرياض: المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ١٤، العدد ٢٨ (رجب سنة ١٤٢٠هـ)، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
- علي هلهول الرويلي، إدارة الأزمة: إستراتيجية المواجهة.
- عبدالعزيز عبدالمنعم خطاب، إدارة الأزمات الأمنية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- السيد سعيد، إستراتيجيات إدارة الأزمات والكوارث، القاهرة: دار العلوم للنشر، ٢٠٠٦م.
- نعيم إبراهيم الظاهر، إدارة الأزمات، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩م.
- عامر عبدالباسط ضرار، إدارة الأزمات: رؤية إسلامية، القاهرة: دار الكلمة للنشر، ٢٠٠٠م.
- زيد منير عبوي، إدارة الأزمات، دار كنوز المعرفة، ٢٠٠٧م.
- Oxford Dictionahy oxford: The clahendar Press، ١٩٩٢، P١٩٤.



هاشم سليمان حمادي
دمشق – سورية

موسكو .. من الكريملين إلى أقفال الحب الأبدي





الذي يزور موسكو اليوم لايتمالك نفسه من أن يقف مندهشاً مفرط الإعجاب بما يرى. وتتضاعف هذه الدهشة لديه إذا كان قد سبق له أن عاش في موسكو في الأيام الخوالي، كما حدث لكاتب هذه السطور؛ فخلال السنوات العشر الأخيرة فقط شيِّد في المدينة زهاء مئة ناطحة سحاب، وتحولت شوارعها إلى محيط من الأضواء واللوحات الإعلانية العملاقة، وعلى جانبيها ترتفع الأبنية الحديثة، ذات الطراز المعماري الأنيق، وتصطفّ المخازن التي تغصّ بكل ما يمكن أن يخطر لك ببال.

وترى الناس، الذين كانوا حتى الماضي القريب، يرتدون الثياب الموحّدة، أو المتشابهة، يرفلون في الأزياء العصرية الأفضل مما يرتدي أقرانهم في كبريات العواصم الغربية، وكأنهم جميعاً عارضو أزياء بالجملة على حلبة واسعة، اسمها موسكو.

وترى الشوارع شبه خالية من السيارات الوطنية، وتغصّ - في المقابل - بالسيارات الأجنبية من أحدث الطرازات والماركات العالمية بعد أن كانت لعشر سنوات خلت شبه مظلمة، تتكدس فيها أكوام القمامة، وتغصّ بالكلاب والقطط الشاردة، وبالمشرّدين في ثيابهم الرثّة وهم يتمايلون من فرط السكر؛ هرباً من الحياة القاسية والواقع الأليم.

وخلال السنوات الأخيرة ازداد عدد الأثرياء في موسكو بوتائر سريعة؛ إذ يربو عدد من تزيد ثروتهم على الخمسين مليون دولار على المئة ألف شخص. واليوم ترى الموسكوفيين يؤمّون المنتجعات الشهيرة في أصقاع العالم شتى؛ غربه وشرقه، ويقيمون في أفخم الفنادق، ويقتنون أحدث السيارات، ويشترون اليخوت والطائرات الخاصة، ويشيدون الفلل والقصور، وكأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون بهذه الثروات الطائلة التي هبطت عليهم بين عشية وضحاها.

لمحة تاريخية

تضرب جذور موسكو عميقاً في أغوار القرون؛ إذ تؤكد

الحوليات الأثرية أن المستوطنات الأولى ظهرت على أرض موسكو الحالية منذ أكثر من خمسة آلاف عام. لكن هذه الحوليات لم تأت على ذكر موسكو إلا في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، ويعدّ عام ١١٤٧م التاريخ الرسمي لتأسيس هذه المدينة ذات التاريخ الحضاري العريق والموقع، الجغرافي والعسكري والتجاري المهم.

تشير حولية (تفير tver) إلى أن بناء أسوار موسكو الخشبية الأولى، التي عُرفت لاحقاً باسم الكريملين، يعود إلى عام ١١٥٦م، ومن حول هذا الكريملين بدأت تتكاثر القرى والدساكر، ومع نهاية القرن الثالث عشر أصبحت موسكو حاضرةً لإحدى الإمارات، ولم تلبث أن تحوّلت إلى مدينة تجارية وحرفية مهمة، وإلى عقدة مواصلات برية ومائية كبيرة. وازدادت أهمية موسكو مع تشكّل الدولة الروسية المركزية القوية في القرن الخامس عشر.

تعرّضت موسكو، على مدى تاريخها الطويل، لكثير من المحن والنكبات، بما فيها الحرائق والغزوات والاحتلال. فقد غزاها

يعدّ متحف بوشكين للفنون التشكيلية المتحف الأكبر في مدينة موسكو؛ فهو يضم مجموعةً كبيرةً ونادرةً من الأعمال النحتية واللوحات والخزفيات



المغول وأحرقوها، وغزاها البولونيون وأحرقوها، وغزاها نابليون وأحرقها، وفي الحرب العالمية الثانية وصلت القوات النازية إلى مشارفها، لكنها رُدَّت على أعقابها، وأخفقت في دخولها.

وحتى بعد انتقال مركز العاصمة الروسية إلى بطرسبورغ عام ١٧١٢م ظلّت موسكو محتفظةً بأهميتها، وعُدَّت عاصمة البلاد الثانية، وفيها تأسّست أول جامعة روسية (جامعة لومنوسوف) عام ١٧٥٥م. واستمرت المدينة تتطور في المجالات شتى: العلمية، والثقافية، والاقتصادية. وبعيد الثورة عام ١٩١٨م عادت موسكو عاصمةً، وأصبحت حاضرة أول دولة اشتراكية في العالم.

واليوم بعد مرور عقد ونيّف على تفكّك الاتحاد السوفييتي، والانفتاح الروسي الكبير على العالم شرقه وغربه، تحوّلت موسكو إلى واحدة من أهم عواصم العالم، وأكثرها جمالاً وروعةً، وأوسعها ثروةً، وأفحشها غلاءً، وأغناها بالمسارح والفنون والمتاحف والمتنزّهات، وأكثفها عربدةً ولهواً.

ومن الواضح أن الفضل الكبير في تطوير المدينة وتحسينها يعود إلى محافظها (مير) المعروف يوري لوجكوف، الذي شغل هذا المنصب من عام ١٩٩٢م إلى عام ٢٠١٠م، وكان من المنتظر أن تنتهي ولايته الرابعة في ديسمبر/ كانون الأول عام ٢٠٠٧م، لكن الرئيس الروسي مدّد له هذه الولاية لمدة إضافية.

ويوري لوجكوف واحد من أشهر السياسيين في روسيا، وأغناهم حنكةً ومهارةً في التنظيم والإدارة، وأوسعهم ثراءً؛ إذ تُقدَّر ثروة زوجته، التي تعمل في مجال البناء، بأكثر من ستة مليارات دولار؛ فلا غرابة - إذاً - أن يُطرح اسمه لرئاسة البلاد في انتخابات عام ١٩٩٨م؛ لما يتمتّع به من شعبية كبيرة في أوساط سكان العاصمة.

إن مدينة موسكو هي في الواقع دويلة لوجكوف؛ فهو كان يترأس حكومتها، ويرسم سياستها، ويرصد ميزانيتها، وينفذ المشروعات العمرانية فيها، علماً أن ميزانيتها في عام ٢٠٠٨م تجاوزت ٤٠ مليار دولار، وهي ثالث أكبر ميزانية مدينة في العالم.ولما كان من المستحيل أن نأتي في هذه العجالة على كلّ معالم هذه المدينة فسنكتفي بالحديث عن أوسعها شهرةً، وأكثرها أهميةً، وهي: الكريملين، والساحة الحمراء، والمسارح، والمتاحف، والقصور.



الكريملين

«الكريملين بأسواره المسنّنة، وممرّاته المظلمة، وقصوره الفاخرة، عصيّ على الوصف... يجب أن تراه كي تشعر بمناجاته القلب والخيال». ذلكم ما كتبه الشاعر الروسي الكبير ميخائيل ليرمانتوف (النصف الأول من القرن التاسع عشر) في وصف الكريملين منذ أكثر من مئة وخمسين عاماً خلت.

يعود بناء كريملين موسكو - كما سبق أن أشرنا - إلى عام ١١٥٦م، وكان آنذاك خشبياً متواضعاً لم يعمّر إلا قرنين من الزمن؛ ففي عام ١٢٣٨م التهمت الحرائق موسكو ودمّرتها على يد جحافل المغول، ولم يبقَ مكانها سوى كومة من الرماد. ومنذ ذلك الحين تعرّض الكريملين لعدد من الحرائق، وكثير من التدمير، لكنّ بناءه كان يجدّد، ويزداد اتساعاً وتحصيناً. ففي نهاية القرن الثالث عشر، ومع بداية القرن الرابع عشر، شهد الكريملين نشاطاً معمارياً كبيراً؛ إذ زُنّر بأسوار منيعة من خشب البلوط، وبُنيت في صحنه المعابد الحجرية وقصور الأمـراء، وتحوّل إلى مركز سياسي للدولة الإقطاعية، وإلى مقرّ لكبار الأمراء، ومركز لمطارنة موسكو.

في عام ١٣٦٧م بُني أول أسواره الحجرية، وكانت سماكته كبيرة جداً بالنسبة إلى تلك الأيام (بين مترين وثلاثة أمتار). وقد عمّر هذا الكريملين الحجري زهاء مئة عام، إلى أن أتت عليه الحرائق والغزوات، وحوّلته إلى أطلال دارسة.

مع نهاية القرن الخامس عشر ظهر الكريملين بحلة جديدة؛ فقد بُنيت أسواره وأبراجه بالآجرّ، وبلغ طولها الإجمالي ٢٢٣٥ متراً، بارتفاع يراوح بين ٥ أمتار و١٩ متراً حسب تضاريس المكان، وبسماكة تراوح بين ٣,٥ و٦,٥ أمتار. أما مساحة صحنه فتقدّر بـ٢٨ هكتاراً.

في الماضي كانت الساعات تزيّن عدداً من أبراجه، أما الآن فلم يبقَ سوى واحدة على البرج المطلّ على الساحة الحمراء، وتشرف هذه الساعة على الساحة منذ منتصف القرن التاسع عشر. وتزدان أبراج الكريملين بنجوم الياقوت الحمراء، التي تتلألأ ليلاً نهاراً، وتبدو للناظر كأنها نجوم صغيرة، لكنها في الواقع ضخمة جداً؛ إذ يراوح طولها بين ٣ و٣,٧٥ أمتار، أما وزن كل منها فيراوح بين طن وطنٍ ونصف.

أما أهم معالم الكريملين القائمة في صحنه، فهي: كنيسة الرسل

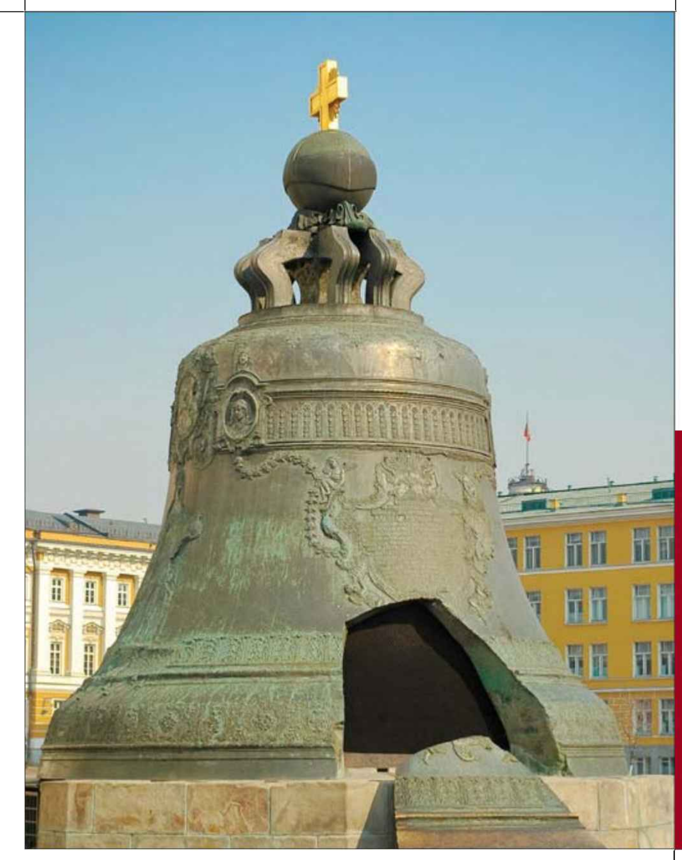
القصور

يضم الكريملين، إلى جانب الكاتدرائيات، عدداً من القصور المهمة: قصر التسلية، ومبنى مجلس الشيوخ، وقصر الكريملين، وقصر السلاح، والقصر المضلّع، وقصر المؤتمرات، إضافةً إلى مسرح الكريملين، ومبنى الترسانة.

والواقع أن كلاً من هذه المباني والقصور يستحقّ أن نفرد له مقالةً مستقلةً، لكننا سنكتفي بالحديث عن أكثرها أهميةً، وأوسعها شهرةً، وهو قصر السلاح.

قد لا تكون هذه التسمية دقيقةً؛ لأن محتويات هذا القصر لا تقتصر على السلاح وحده؛ فهو متحف للعاديات والتحف النادرة.

يعود تأسيس قصر السلاح إلى القرن الرابع عشر، وكان يضم آنذاك كنوز الأمراء والقياصرة الروس، ثم لم يلبث أن تحوّل إلى ورشة واسعة لإنتاج الأسلحة المختلفة. وقد نجت محتويات القصر من نهب جنود نابليون بعد أن تمّ ترحيلها





يعود بناء كريملين موسكو إلى عام ١١٥٦م، وكان آنذاك خشبياً متواضعاً لم يعمّر إلا قرنين من الزمن؛ ففي عام ١٢٣٨م التهمت الحرائق موسكو ودمّرتها

الاثني عشر، وكنيسة الصعود، وكنيسة البشارة، وبرج أجراس إيفان العظيم، والأرسينال، وقصر السلاح، ومسرح الكريملين، وقصر المؤتمرات، وقصر الكريملين الكبير، والمقر الرئاسي.

ظلّ الكريملين مغلقاً في وجه عامة الشعب ثماني مئة عام بالتمام والكمال، ولم يفتح أبوابه أمام الزوار إلا في عام ١٩٥٥م. ومنذ ذلك الحين يؤمّه الآلاف من الزوار يومياً؛ لزيارة متاحفه، وارتياد مسارحه، والتنزّه في أرجائه، ويقفون طويلاً عند (ملك الأجراس)، وهو جرس عملاق يزن قرابة مئتي طن، ويعود سبكه إلى القرن الثامن عشر. وإلى جواره يقوم (ملك المدافع)، وهو مدفع ضخم من البرونز يزن ٤٠ طناً، من عيار ٨٩٠ ملم؛ أي: أنه الأكبر عياراً في العالم. أما الطلقات الأربع الموجودة تحته، فزنة الواحدة منها قرابة الطن، لكنها للعرض فقط، وغير صالحة للاستخدام.

مسبقاً إلى مدينة نيجني نوفغورد.

تشغل معروضات المتحف في الوقت الحاضر تسع صالات، تتوزّع حسب ترتيبها الزمني، وتشغل صناعة السلاح القسم الأكبر والأهم من هذه المعروضات؛ إذ تطالعنا نماذج نادرة من السلاح من جنسيات مختلفة: البيزنطي، والألماني، والفرنسي، والإيراني، والعربي، والتركي، والهندي، وغيرها، إضافةً إلى الروسي بالطبع.

وتأتي في المرتبة الثانية معروضات الحليّ الذهبية والفضية، التي صُنعت في روسيا على مدى القرون الثمانية الأخيرة، وبخاصة تلك التي صُنعت في ورشات الكريملين، التي تعود إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر.

تطالعنا بعد ذلك المجموعات النادرة من أدوات المائدة المصنوعة من الخزف، والصيني، والعاج، والفضة، والذهب. وتتميّز منها المجموعة الفضية الأوربية الغربية التي تعود إلى القرون (١٥-١٩م)؛ لما لها من أهمية تاريخية وفنية، وعلى رأسها تلك المعروفة باسم (هدايا السفارات)، التي وصلت موسكو عن طريق البعثات الدبلوماسية والتجارية الإنجليزية، والفرنسية، والهولندية، والسويدية، والدنماركية، والنمساوية، والبولونية، والتركية.

كما تطالعنا في قصر السلاح نماذج رائعة ونادرة من الحياكة اليدوية (القرون ١٤-١٩م)، ذات الجنسيات المتعددة: البيزنطية، والفارسية، والإيطالية، والتركية، والإسبانية، والصينية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، إضافةً إلى تيجان القياصرة، بما فيها تاج بطرس الأكبر وأخيه يوحنا، وهما تاجان ماسيان نادران. وهناك مجموعة من العروش القديمة، وأكبر مجموعة من العربات القديمة (منذ نهاية القرن السادس عشر).

الساحة الحمراء

من أهم معالم موسكو القديمة والحديثة، ويربو عمرها على خمسمئة عام. ففي نهاية القرن الخامس عشر كانت هذه الساحة تُعرف باسم (السوق)، أو (الحريق)، وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر أصبحت تُعرف باسم (كراسنويا بلوشّاد). ولا تعني كلمة (كراسنويا) بالروسية الحمراء فقط، بل (الجميلة، والرائعة، والبهية، والحسناء). ومن هنا، فإن الترجمة الفعلية لهذه التسمية هي (الساحة الجميلة). وفي البداية كانت هذه الساحة مكاناً للتجارة، ومنذ القرن السادس عشر تحوّلت إلى ميدان للاحتفالات وتلاوة الأوامر والبلاغات الرسمية. أما الآن فهي مكان يؤمّه الزوار الروس والأجانب، وتقام فيه العروض والاحتفالات الرسمية (عيد النصر على الفاشية). والساحة مُحاطة من جهاتها الأربع بجدران الكريملين، ومتحف التاريخ، والمركز التجاري (الغوم)، ثم كاتدرائية فاسيلي الطوباوي. وفي وسط الساحة، في الطرف الملاصق للكريملين، يقع ضريح لينين، وتتوزّع مدافن كبار المسؤولين من الحقبة السوفييتية الغابرة. أما بالنسبة إلى ضريح لينين، فقد كان يتمتّع لعشرين عاماً خلت بالعناية والحراسة، أما الآن فلم يعد يقف أمام بابه ذلكما الحارسان الشبيهان بالصنمين، يقفان جامدين، وبندقيتاهما إلى جانبهما، لا يأتيان بأدنى حركة طوال مدة مناوبتهما التي تستمر ساعةً كاملةً. والواقع أن الضريح محروس من الخارج والداخل بشكل جيد، ولا يفتح أبوابه العملاقة إلا لاستقبال الزوار، الذين يأتون إلى هنا من كل فجّ وصوب، ويقفون منذ الصباح في طابور طويل، وقد يستغرق الانتظار ساعة أو ساعتين. وحين يدخل الزائر إلى الضريح يشعر بالرهبة؛ بسبب الظلمة والأضواء الخافتة، وكثرة رجال الأمن، وبسبب حضور الموت، الذي يطالعك في هذا الوجه الشمعي الخالي من التعبير، إلا تعبير الموت. وبعد أن تلقي نظرةً عاجلةً على جسم لينين المسجّى هنا منذ أكثر من ثمانين عاماً، وتصعد الدرجات، وتخرج إلى النور، تتنفّس بارتياح، وتعود إلى الحياة.

وقبل أن نغادر الساحة الحمراء لابد أن نتوقف قليلاً عند كاتدرائية فاسيلي الطوباوي، التي يعود بناؤها إلى منتصف القرن السادس عشر؛ تخليداً للنصر الذي أحرزه الروس بقيادة إيفان الرهيب على التتار، والاستيلاء على قازان. وقد عُرفت هذه الكاتدرائية باسم فاسيلي الطوباوي؛ نسبةً إلى الممسوس المدفون بجوارها.

والكاتدرائية ذات هندسة معمارية فريدة من نوعها؛ فهي تتكون من تسع كنائس وأخرى عاشرة بُنيت لاحقاً فوق قبر الممسوس. وتنتهي الكنيسة الوسطى بقمة هرمية. ومع مرور الزمن تحوّلت هذه الكاتدرائية إلى رمز لموسكو، مثلها مثل برج إيفل

كريملين المدن الروسية

الكريملين، أو الكريمل، كلمة روسية قديمة تعني القلعة أو الحصن، وهو القسم المركزي من المدن الروسية العريقة، المحاط بالأسوار الحصينة والأبراج الشاهقة، وهو أيضاً مجمع من الأبنية الدفاعية والكنسية والقيصرية، وعادةً كان يُقام الكريملين على التلال العالية، على ضفاف الأنهار أو البحيرات، ويشكّل نواة المدينة، ويحدّد معالمها وتخطيطها، ويندر أن نجد مدينةً روسيةً خاليةً من الكريملين الخاصّ بها، ولا يزال بعضها قائماً حتى يومنا هذا في مدن بسكوف نوفغورد، وتفير، وتولا، وسمولينسك موسكو، وغيرها. إلا أن كريملين موسكو هو الأروع بينها، والأوسع شهرةً، والأكثر أهميةً، والأغنى مضموناً، والأوفر حظاً في الرعاية والاهتمام؛ إذ على الرغم من مرور أكثر من ثمانية قرون على تأسيسه لا يزال تحفةً فنيةً فريدةً، وموروثاً معمارياً وحضارياً مهماً، يؤمّه الزوار من مختلف الأصقاع، ويلتقطون على خلفيته الخارجية وفي صحنه الرحب الصور التذكارية، ويقفون مسحورين أمام عظمة معالمه المعمارية والفنية من قصور ومعابد ومسارح.

مع نهاية القرن الخامس عشر ظهر الكريملين بحلة جديدة؛ فقد بُنيت أسواره وأبراجه بالآجرّ، وبلغ طولها الإجمالي ٢٢٣٥ متراً

العددان ٤١٩-٤٢٠ / الجماديان ١٤٣٢هـ

بالنسبة إلى فرنسا، والأهرامات بالنسبة إلى مصر، وغيرها.

وغير بعيد من هذه الكاتدرائية تقع (لوبنوي ميستا)، وهي حلبة حجرية دائرية الشكل يعود بناؤها إلى القرن السادس عشر، ومن عليها كانت تُتلى القرارات القيصرية، وبالقرب منها كان يُعدم المتمردون والعصاة في روسيا القيصرية.

المسارح

تشتهر موسكو منذ القديم بمسارحها ذات الهندسة المعمارية العريقة، والعروض الساحرة من الباليه إلى الأوبرا والأعمال الكوميدية والتراجيدية، الكلاسيكية منها والحداثية.

ومن المعروف أن السلطة السوفييتية أولت المسرح أهميةً بالغةً، وسيّسته قدر الإمكان، ووظّفته لخدمة أهدافها، وقدّمت له كل الدعم المعنوي والمادي، حتى إن عدد المسارح في موسكو تجاوز الثلاثين مسرحاً. ومع تفكّك الاتحاد السوفييتي مرّ المسرح الروسي والعاملون فيه بمدة عصيبة من الركود، وقلة الموارد، وانحسار عدد الروّاد. لكن الحياة ما لبثت أن دبّت في هذا المسرح من جديد، وأصبحت العروض المسرحية تستقطب جمهوراً كبيراً من المشاهدين، حتى إن تذاكر بعض العروض تنفد قبل موعد

العرض بأيام على الرغم من أسعارها الخيالية بالنسبة إلى أيام زمان (الاتحاد السوفييتي).

ومن أشهر مسارح موسكو: مسرح البولشوي، ومسرح مالي، والمسرح الفني، ومسرح فاغتانغوف، ومسرح مياكوفسكي، ومسرح غوغول، ومسرح بوشكين، ومسرح تشيخوف، إضافةً إلى كونسيرفاتور موسكو، وفيلهارمونيا موسكو، وصالات الكونشيرتو، وغيرها. لكننا سنكتفي هنا بالحديث عن اثنين هما الأبرز في هذه القائمة.

مسرح البولشوي

يقع مسرح البولشوي (أي: المسرح الكبير) في مركز موسكو على بعد مئتي متر من الساحة الحمراء، ويشكّل مبناه من الخارج والداخل تحفةً معماريةً تستحوذ على الإعجاب.

في القرن الثامن عشر لم يكن ثمة في موسكو مسرح وطني دائم كما في البلدان الأوربية المتحضّرة، وكانت الفرق المسرحية الجوالة تنتقل من مدينة روسية إلى أخرى لتقدم عروضها المتواضعة، وغالباً في العراء. وفي عام ١٧٧٥م طلب الأمير أوروسوف، المعروف بحبه الفنّ، من الإمبراطورة كاترين الثانية، التي اشتهرت بحبّها التنوير الأوربي، والفرنسي خاصةً، الموافقة على تأسيس مسرح وطني دائم في موسكو. وفي العام التالي بدأت فرقة هذا المسرح، التي تضمّ اثنين وعشرين ممثّلاً، بتقديم عروضها في صالة خشبية ملحقة بأحد البيوتات الموسكوفية. وبعد أربعة أعوام، ظهر مبنى المسرح الجديد في وسط موسكو، لكن المبنى تعرّض للحريق أكثر من مرة، وكان يُعاد بناؤه في كلّ منها من جديد. أما المبنى الحالي فيعود إلى عام ١٨٥٦م، ويعدّ واحداً من المباني المسرحية الأفضل في العالم، من حيث روعة البناء والتجهيزات الفنية.

منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تألّق على خشبة هذا المسرح كثير من نجوم الباليه والأوبرا، وقدّمت آلاف العروض الكلاسيكية والمعاصرة من إبداع عمالقة الموسيقا الروسية والعالمية، بأداء كوكبة من أشهر مغني الأوبرا وراقصي الباليه، بدءاً من فيدور شالابين، وأنطونينا نيجدانوفا، وليونيد سوبينوف، وانتهاءً بغالينا أولانوفا، ومايا بليسيتسكيا، وألكسندر باغاطيريوف.

ومن أشهر عروض هذا المسرح، التي لا تزال تلقى إقبالاً واسعاً من الجمهور على الرغم من عمرها الطويل: باليه بحيرة البجع، والحسناء النائمة، وروميو وجولييت، وجيزيل. ولا تقتصر عروض مسرح البولشوي على موسكو وحدها؛ فهو يقدم عروضه، خصوصاً الباليه، في عدد من العواصم العالمية؛ إذ يتمتع هذا المسرح بشهرة تبزّ شهرة أيّ مسرح من مسارح العالم الأخرى.

مسرح مالي

يسمى المسرح الصغير؛ تمييزاً له من المسرح الكبير الواقع بجواره، الذي لا يفصله عنه سوى شارع واحد بعرض عشرين متراً، ويعدّ هذا المسرح من أقدم المسارح الدرامية الروسية.

ومنذ تأسيسه تحوّل مسرح مالي إلى مركز للثقافة الديمقراطية الروسية، ومنهل حضاري لا ينضب، ومنبر للأدب التقدمي؛ فلا غرابة أن يقول عنه غوركي: «أدى مسرح مالي وجامعة موسكو دوراً كبيراً في تاريخ التطور العقلي للمجتمع الروسي».

وعلى خشبة هذا المسرح قُدِّمت، ولا تزال تُقدَّم، الأعمال الدرامية الكلاسيكية الخالدة؛ مثل: وذو العقل يشقى، والمصطافون، وأغلب مسرحيات أستروفسكي، والقيصر فيودور إيفانوفيتش، وماكبث، وعطيل. ومن أشهر نجومه: برون سادوفسكي، وماريا يرمولوفا، ويوري سالومين، وغيرهم.

المتاحف

يُوجد في موسكو زهاء ٧٠ متحفاً متنوعاً، أهمها وأوسعها شهرةً غاليريه تريتياكوف، ومسرح بوشكين للفنون التشكيلية.

الساحة الحمراء من أهم معالم موسكو القديمة والحديثة، ويربو عمرها على خمسمئة عام. ففي نهاية القرن الخامس عشر كانت هذه الساحة تُعرف باسم (السوق)، أو (الحريق)

غاليريه تريتياكوف

لم يكن بافل تريتياكوف – مؤسس هذا الغاليريه – فناناً، بل كان صاحب مصنع كبير محباً للرسم وذوّاقة للفن، فكان ينفق القسم الأكبر من ثروته على اقتناء اللوحات، وقد وهب أربعين عاماً من حياته لتأسيس هذا الغاليريه الذي خلّد اسمه. اشترى تريتياكوف لوحته الأولى في عام ١٨٥٦م، وبعدها كرّت حبّات المسبحة، فتجاوز عدد مقتنياته من اللوحات ألفي لوحة بريشة كبار فناني المدرسة الواقعية الروسية. وفي سبعينيات القرن التاسع عشر طلب من أشهر الفنانين رسم بورتريهات لعمالقة الثقافة الروسية من كتّاب وعلماء وفنانين وموسيقيين. ولم يكتفِ تريتياكوف بعرض مجموعته في موسكو، بل راح ينظّم المعارض المتنقلة في عدد من المدن الروسية والأجنبية. وفي عام ١٨٨١م فتح الغاليريه أبوابه أمام الزوّار، وبعد أحد عشر عاماً وهب تريتياكوف مجموعته النادرة من اللوحات إلى مدينته موسكو. ومنذ ذلك الحين تحوّل هذا الغاليريه

تشتهر موسكو منذ القديم بمسارحها ذات الهندسة المعمارية العريقة، والعروض الساحرة من الباليه إلى الأوبرا والأعمال الكوميدية والتراجيدية، الكلاسيكية منها والحداثية



إلى واحد من أكبر المناهل الثقافية والفنية في البلاد وأهمها، يؤمّه الكبار والصغار، الروس والأجانب؛ ليمتّعوا النظر بالأعمال الفنية الخالدة، وما أكثرها! ولينهلوا من معين الثقافة الذي لا ينضب؛ ففي قاعاته الرحبة تطالعنا أعمال أندريه روبلوف الأيقونية، ولوحات بافل فيدوتوف، وفاسيلي بيروف، وفاسيلي بالينوف، وإيليا ريبين، وفاسيلي سوريكوف، وميخائيل فروبل، وغيرهم.

متحف بوشكين للفنون التشكيلية

يعدّ متحف بوشكين للفنون التشكيلية المتحف الأكبر في مدينة موسكو؛ فهو يضم مجموعةً كبيرةً ونادرةً من الأعمال النحتية واللوحات والخزفيات. واختلافاً عن غاليريه تريتياكوف حيث يُعرض الفن الروسي، فإن متحف بوشكين يضم روائع الفنانين والنحاتين الأجانب من أوربا الغربية، والشرق القديم، ومصر القديمة، والعالمين الروماني والإغريقي. ويعود الفضل في تأسيس هذا المتحف إلى جامع

الأعمال الفنية الكبير إيفان تسفيتايف؛ والد الشاعرة والكاتبة الروسية المعروفة مارينا تسفيتايفا. فقد قام تسفيتايف بجمع المال اللازم لبناء هذا المتحف، واقتناء معروضاته، وبدأ تشييد البناء في عام ١٨٩٨م، وافتتح بشكل رسمي عام ١٩١٢م.

وهب تسفيتايف خمسة وعشرين عاماً من حياته لتأسيس هذا المتحف ورعايته، ودعا لزخرفة صالاته مشاهير الفنانين الروس. وبدأ جامعو الأعمال الفنية الروس يرفدون المتحف الناشئ باللوحات والمنحوتات، كما بدأت النسخ عن الروائع الفنية العالمية تصل إلى هنا من المتحف البريطاني واللوفر ومتاحف درزدن وروما. واليوم أصبح هذا المتحف من أغنى متاحف العالم بروائع الثقافة العالمية، بدءاً من الألف الرابعة قبل الميلاد حتى الفن الحديث؛ إذ يضمّ مخزونه أكثر من ثلاثة آلاف لوحة، وزهاء أربعة آلاف من الرسومات والصور المحفورة، وكثيراً من المنحوتات والميداليات وروائع الفنون التطبيقية.

وإلى جانب الروائع الأصلية المصرية القديمة تطالعنا نسخ عن الأعمال الفنية الإغريقية والرومانية، وأعمال فنان عصر النهضة الكبير ميكيل أنجلو بواناروتي.

أما في غاليريه اللوحات في المتحف، فنتعرّف أعمال عمالقة الرسم في أوربا الغربية منذ القرن السادس عشر حتى الوقت الحاضر. وبين هذه الروائع تطالعنا اللوحات الهولندية، ومنها ست لوحات لرمبرانت، و١٢٦ لوحة لرسامين هولنديين آخرين.

ومن أهم أجنحة المتحف ذاك المخصّص للفن الفرنسي، القديم منه والحديث؛ فمنذ نهاية القرن التاسع عشر بدأت لوحات الانطباعيين الفرنسيين تظهر في موسكو بأعداد كبيرة ومتزايدة بفضل سيرجي تريتياكوف (شقيق بافل مؤسّس غاليريه تريتياكوف)، والطبيب الموسكوفي بوتكين، اللذين عمدا إلى جمع أفضل أعمال الانطباعيين الفرنسيين، ثم وهبا ما جمعاه إلى تسفيتايف، إضافةً إلى اللوحات التي وهبها عدد من هواة جمع اللوحات الموسكوفيين إلى هذا المتحف، ومنهم سيرجي شوكين الذي قدم لهذا المتحف ٣٧ لوحة بريشة ماتيس. كما يضم المتحف عدداً من روائع بيكاسو؛ أحد عمالقة الفن في القرن العشرين.

يبقى أن نقول: إن هذا المتحف ينظّم جولات فنية لروائعه في عدد من عواصم العالم، كما ينظّم معارض متنوعة للأعمال الفنية الأجنبية تلقى إقبالاً كبيراً من الزوّار الروس والأجانب.

أشجار تثمر أقفالاً

قد يبدو هذا العنوان غريباً لا يصدق، لكنه بعيد من المبالغة، ومن يخامره الشك في ذلك ما عليه إلا أن يرافقنا إلى جسر صغير يرتفع فوق قناة موسكو غير بعيد من الساحة الحمراء. ولا تكاد تقترب من هذا الجسر حتى يطالعك منظر غير مألوف؛ ففوق هذا الجسر ترتفع قرابة عشر شجيرات ذات فروع كثيفة، لكنها عارية من الأوراق، مثقلة بالثمار من الألوان والأحجام المختلفة.

يتوافد إلى هذا الجسر الفريد من نوعه كثير من الزوار، يتفرّجون على هذه الشجيرات، ويلتقطون الصور التذكارية على خلفيتها، ويتفحّصون ثمارها، التي هي في الواقع مجرد أقفال معدنية عادية تُباع في كل الأمكنة، لكن من أين أتت هذه الأقفال؟ وما الهدف من تعليقها هنا؟ ولماذا اكتسبت هذه الشهرة والشعبية؟.منذ عدة سنوات أصبح تقليداً أن يتوافد على هذا الجسر العرسان الجدد في أثناء الاحتفال بالزفاف، ويقوم العروسان بتعليق قفل جديد يحمل اسميهما على واحدة من هذه الشجيرات، ثم يقفلانه، ويحتفظان بالمفتاح؛ رمزاً لعلاقة الحب المتينة التي تربط بينهما، والتي لا تنفصم عراها. وغالباً ما يتردّد العرسان، ومن يمتّ إليهما بصلة القرابة أو الصداقة، على الجسر فيما بعد؛ لتفحّص ما علّقوا من أقفال، وفي أكثر الأحيان يكون العثور على هذه الأقفال في منتهى الصعوبة؛ لكثرة ما يثقل أغصان هذه الشجيرات من ثمار.

المراجع

- ميخائيل إيلين، موسكو.
- د. بيسارسكيا، كريملين موسكو، موسكو، عام ١٩٨١م.
- نا. بيسونوفا، لقاء مع الروائع.
- ن. تيخوميروف، كريملين موسكو، تاريخ بنائه، موسكو، عام ١٩٦٦م.
- دائرة المعارف السوفييتية.
- القاموس الموسوعي السوفييتي.



تعلّم العربية في القديم

تعليم

كان الأساس في تعلّم العربية وإتقانها قديماً أنها تُكتسب اكتساباً، يأخذها الصبيان عن أهلهم كما يسمعونها؛ لأن العجمة لم تكن قد تسرّبت إلى الألسن بعد؛ بسبب عدم اختلاط العرب بالأعاجم إلا في بعض الحواضر، فكانت الملَكة تتحصّل لهم من خلال سماع اللغة الفصيحة من أهلها. وفي ذلك يقول ابن خلدون: «لو فرضنا صبياً من صبيانهم نشأ وربِّي في جيلهم فإنه يتعلّم لغتهم، ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء»(١).

لذلك كان أهل الحواضر يرسلون أبناءهم إلى البادية ليتعلموا العربية سليمةً فصيحةً من غير لحن، ودأب كثير من الناس على هذا بعد الإسلام، فكانت تتحصّل لهم الملكة - إضافةً إلى ذلك - من خلال حفظ الشعر ومأثور كلامهم، فيصبح ذلك طبعاً في المتعلّم، فيألف الفصيح، ويمجّ سواه، ويتنبّه إلى الغلط سليقةً، ومن هنا كان اكتشافهم الخلل في شعر النابغة الذبياني، ونقدهم إيّاه، عندما أقوى في شعره، ولم تكن قواعد الشعر وعَروضه قد وُضعت بعد، لكنهم اكتشفوا الخلل بفضل سلائقهم اللغوية السليمة، التي كانت تأبى الغلط وتكتشفه عند سماعه.

تلك هي المرحلة الأولى التي كان يمرّ بها تعلّم العربية: سماع اللغة من أهلها سليمةً، ثم حفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم، والمداومة على ذلك(٢).

انتشار الكتاتيب

ولم تُعرف الكتاتيب وتنتشر في بلاد العرب إلا بعد الإسلام، عندما أخذوا في الاختلاط بشعوب البلدان المفتوحة من الفرس والروم وغيرهم، فتفشّى اللحن، وشاع على الألسنة، ولم يسلم منه حتى بعض فصحائهم، وتمّ وضع قواعد العربية ونقطها وعَروض شعرها، مع الاحتفاظ للسماع بأهميته ودوره بشكل

فاطمة حسن العبدالفتاح الزعبي
الرياض - السعودية

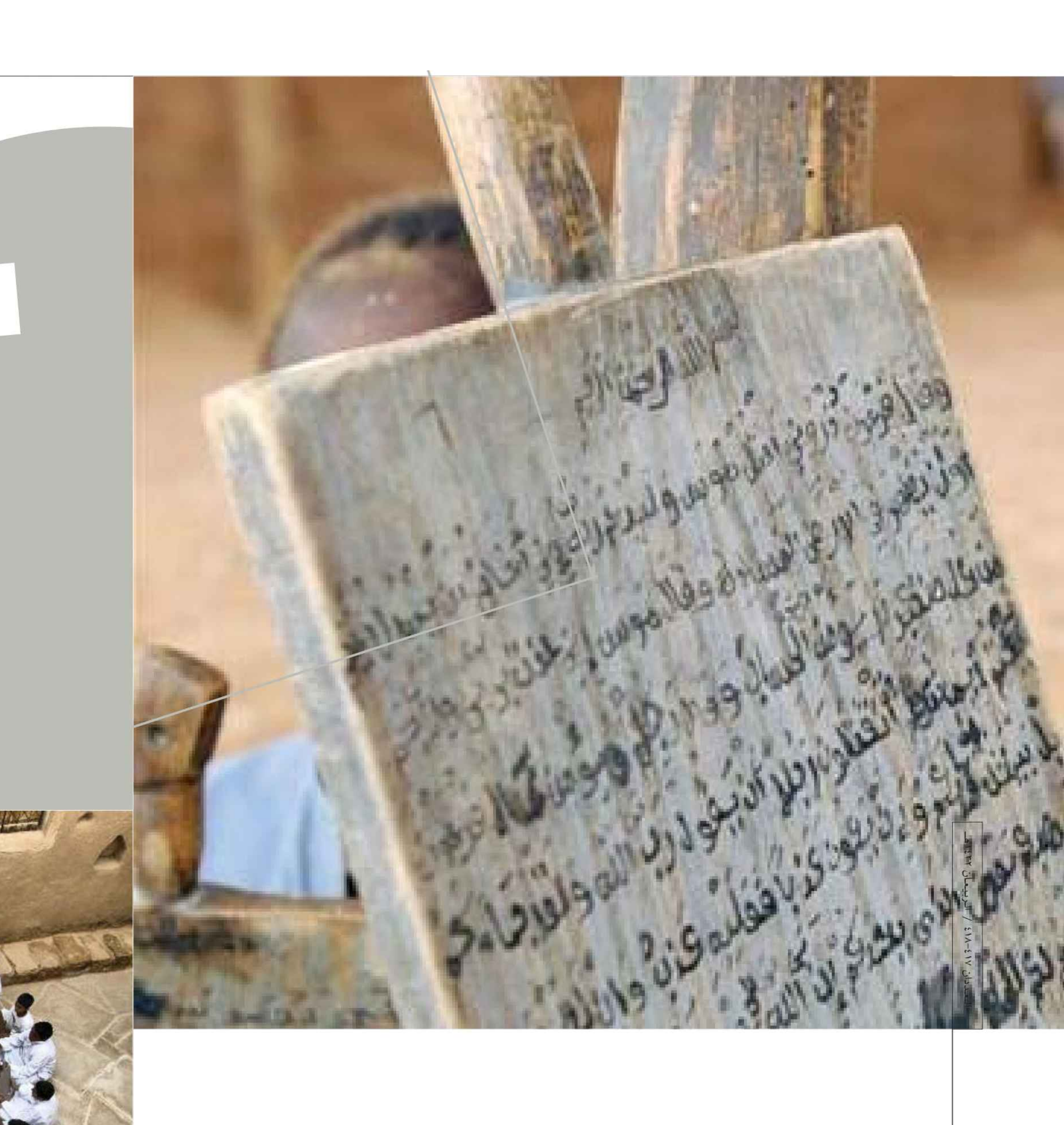


خاصّ في حفظ الشعر وروايته. وبدأت الكتاتيب تأخذ دوراً أساسياً في التعليم؛ إذ كان الأولاد يتعلّمون فيها الخطّ والقراءة والقرآن الكريم وبعض مبادئ الحساب.

وإذا أخذنا من بين التعريفات المتعددة للمنهج أنه «مجموع الخبرات المختلفة التي تقدّمها المدرسة للتلاميذ تحت إشرافها؛ بهدف تفاعل التلاميذ مع هذه الخبرات لإحداث التعديل المرغوب فيه في سلوكهم عن طريق تنميتهم نمواً شاملاً متكاملاً إلى أقصى ما تستطيع خبراتهم»[٣]، فإن محتوى التعليم في الكتاتيب كان يتضمن «القرآن، وأحاديث الأخبار، وبعض الأحكام الدينية، والشعر، ومبادئ الحساب، وبعض قواعد اللغة العربية، إلى جانب تعلّم القراءة، والكتابة، والخطّ الذي له مدرّسون مختصّون، واستعمل الصبية الألواح في الكتابة»[٤]. وكان القرآن الكريم الكتاب التعليمي الأول للغة العربية بعد الإسلام، قبل ظهور كتب العربية في علومها المختلفة وبعده، إضافةً إلى المداومة على حفظ أشعار العرب ومأثور كلامهم؛ لأن الكفايات الأولى للطلاب من إتقان اللغة نطقاً وفهماً كانت متحقّقةً، وكان الارتقاء بمستوى المتعلمين يتمّ من خلال تعلّم القرآن الكريم، وحفظ أشعار العرب، وخطبهم، ومأثور كلامهم.

علاقات جدلية

ومع أن الهدف الأول من تعليم القرآن الكريم كان دينياً، إلا أن الهدف الديني ارتبط وتزامن مع تعليم اللغة العربية للمبتدئين، فكان المتعلّم يتعلّم العربية وفي الوقت نفسه تتسرّب إلى نفسه آيات إعجاز القرآن البلاغية. وكانت العلاقة بين تعلّم العربية وتعلّم القرآن الكريم علاقة جدلية، فلا يمكن للمتعلّم أن يتعلم القرآن إلا إذا أتقن العربية، ولا يمكن النفاذ إلى أسرار العربية وبلاغتها إلا من خلال مدارسة القرآن



كانت البداية في تعليم الصغار أن يعلّم المعلم طلابه قصار السور من القرآن الكريم بعد أن يحذقوا معرفة الحروف وضبطها بالشكل

الكريم وفهمه. لذلك وجدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الشريعة بما تعلّموه من الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنهم كانوا في الوقت نفسه، من خلال تعليمهم القرآن الكريم، يعلمون بيان القرآن وأسرار معانيه، وهو قمة إعجاز اللغة العربية. وكان هذا المنهج أساساً في تعلم العربية وفهمها وإتقانها، بدءاً من الكتاتيب، وانتهاءً بالمدارسة والمذاكرة بين العلماء والمتعلمين في المساجد. وقد تطابق مفهوم تعلم العربية وإتقانها وفهمها مع مفهوم الفقه في الدين، وفي الحديث عن ابن عباس، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «ضمّني

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علّمه الكتاب»[٥]. ومن ضرورات تعلم الكتاب قراءته وفهمه فهماً صحيحاً، وهذا لا يكون إلا بفهم العربية وإتقانها؛ لذلك كان تعلم العربية وتعلم القرآن أمرين متلازمين. وسبب أن القرن الكريم كان أصل التعليم الذي يُبنى عليه ما يحصل من بعض الملكات «أن تعلّم الصغر أشدّ رسوخاً، وهو أصل لما بعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه»[٦].

تكوين الملكات

وكانت البداية في تعليم الصغار أن يعلّم المعلم طلابه قصار السور من القرآن الكريم بعد أن يحذقوا معرفة الحروف وضبطها بالشكل، إضافةً إلى قليل من الحساب واللغة والنحو والشعر. ويتمّ التركيز في هذه المرحلة الأولية في إتقان القراءة والكتابة، وتكوين الملكات اللغوية السليمة من خلال حفظ قصار السور بما هي آية في البيان وسهولة الحفظ، وبما تحتويه من الفواصل والبلاغة التي لا مثيل لها.

كان يُكتفى في هذه المرحلة من التعليم بأن يكون المعلم «حافظاً لكتاب الله، ملماً ببعض النحو وأصول الحساب والخط»[٧]، إلا أن ذلك لم يكن قاعدةً؛ فقد اشتغل الطرماح بن حكيم الطائي (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م) مؤدباً بالري، وعنه قال عبدالأعلى: (لم أرَ أحداً آخذاً لعقول الرجال، ولا أجذب لأسماعهم منه، ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كأنهم جالسوا العلماء»[٨]. وكان الطرماح ممّن أتقن لغات أخرى غير العربية؛ فعن أبي عمرو بن العلاء أنه «رأى الطرماح بسواد الكوفة وهو يكتب ألفاظ النبيط ليدخلها في شعره»[٩].

كانت كتاتيب المسلمين تستقبل أولاد المسلمين، وكذلك أولاد النصارى؛ لأنها من الأمكنة الأولى لتعليم اللغة العربية، إلا أن المتوكل العباسي أمر في سنة خمس وثلاثين ومئتين «ألّا يُستعان بالنصارى، ولا سائر أهل الذمة. وأمر ألّا يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، وألّا يعلّمهم مسلم»[١٠]. وواضح من هذا النصّ أن الكتاتيب كانت الحلقة الأولى من حلقات تعليم اللغة العربية وسواها، وإلا لما قصدها أولاد النصارى للتعلّم.

وكان المتّبع في طريقة التدريس بالكتاتيب أن يقوم المعلّم بتعليم الحروف الهجائية، ثم الحروف المُحرَّكة بالحركات المختلفة، ويتم ذلك بأن «يقوم مدرس الكتّاب بكتابة ثلاثة أو أربعة من الحروف الهجائية على لوح الطالب، وكلّ حرف مكتوب ثلاث مرات، وعليه علامة التشكيل؛ مثل: بَ، بُ، بِ، ويطلب من الطالب قراءة ذلك عدة مرات حتى يحفظها، فإن حفظها قام المدرس بكتابة الحروف الأخرى حسب الترتيب السابق؛ حتى يتم الطالب حفظ جميع الحروف الهجائية بالحركات، ويُعرف ذلك بالقاعدة البغدادية. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الكتابة وترتيب الكلمات، وفي الوقت نفسه يقوم الطالب بتعلّم بعض السور القصيرة من القرآن الكريم، وأول سورة يبدأ بقراءتها عادةً سورة (الفاتحة)، ثم سورة (قل أعوذ بربّ الناس)، ويستمر في قراءة قصار السور حتى يتم جزء عمّ، وبعدها ينتقل إلى الأجزاء التي تليه، حتى نهاية القرآن الكريم»[١١].

وقد دلّت الأبحاث على أن استيعاب المستمع الجمل القصيرة البسيطة أسهل لحفظه وفهمه من الجمل الطويلة المعقدة، وأن فهم الجمل الأساسية التي لا تتضمن جملاً فرعية أسهل على الفهم من جملتين: إحداهما أساسية، والأخرى فرعية، وأنه كلما زاد عدد الجمل الفرعية زادت صعوبة الفهم والحفظ. وإضافةً إلى المواد التعليمية السابقة، التي كانت تُعنى بها الكتاتيب عامةً، إلا أنه وُجدت بعض الكتاتيب التي أولت اهتماماً بمواد أخرى؛ «فقد وضعت بعض الكتاتيب ضمن مناهجها تدريس الطالب مادة تحسين الخط بجانب المواد الأخرى»[١٢].

بينما المعلمون يستثمرون أوقات الفراغ في تدريب الطلاب على تحسين خطهم عُنيت بعض الكتاتيب بتعليم الطلاب الغناء والموسيقا

تعليم الخط والموسيقا

وكان المعلمون بعد أن يفرغوا من تعليم ما هو مطلوب من تعليم القرآن الكريم والنحو والحساب يستثمرون أوقات الفراغ في تدريب الطلاب على تحسين خطهم بأن يكتب لهم نموذجاً، ويطلب منهم الكتابة على مثاله، ثم يقومون بعرض ما كتبوا عليه؛ ليقوم بتقويمه. «وفي وقت البطالة يأمرهم بتجويد الخط على المثال، ويكلّفهم عرض ما أملاه عليهم حفظاً غائباً لا نظراً»[١٣]. وإضافةً إلى كل ما سبق، عُنيت بعض الكتاتيب بتعليم الطلاب الغناء والموسيقا، وكان بعض المعلمين مؤهّلين لذلك، فيُروى أن خليل المعلم، ويلقّب بـ(خليلان)، كان يؤدب الصبيان ويلقّنهم القرآن والخطّ، ويعلّم الجواري الغناء في موضع واحد، ويروي عنه من حضره قال: «كنت يوماً عنده وهو يردّد على صبيّ يقرأ بين يديه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (لقمان: ٦)، ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردّد عليها:

اعتاد هذا القلب بلباله   أن قربت للبين أجماله[١٤]

وخليلان كان أحسن الناس غناءً، وأفتاهم، وأفصحهم[١٥].

وفي النصّ السابق دلالة أخرى، هي أن الأولاد من ذكور وإناث كانوا يتعلمون معاً في الكتاتيب في هذه المرحلة العمرية.

كان المعلمون يتبعون في تعليم اللغة طريقة الانتقال من الجزء إلى الكل؛ إذ يبدأ الطالب بتعلّم الحروف الهجائية نطقاً وكتابةً، ثم تعلّمها مشكولةً، وينتقل بعد ذلك إلى تعلّم الكلمات، ثم التراكيب القصيرة من خلال حفظ السور القصار وبعض الشعر، والمعلم في كلّ ذلك يعتمد على التكرار وصولاً إلى الحفظ غيباً، حتى ترسيخ المعلومة في ذهن الطالب، فتصبح ملكةً مقرّرةً في نفسه.

تنوع الطرائف

ويبدو أن طرائق تعليم العربية تعدّدت وتنوعت بتنوع بلدانها وأمصارها، فيصف ابن جبير الطريقة المتّبعة في تعليم العربية في بلاد الشام قائلاً: «وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلدان المشرقية كلها إنما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها؛ تنزيهاً لكتاب الله - عزّ وجلّ - عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو، وقد يكون في أكثر البلاد الملقّن على حدة، والمكتّب على حدة، فينفصل من التلقين إلى التكتيب، لهم في ذلك سيرة حسنة. ولذلك ما يتأتّى لهم من حسن الخط؛ لأن المعلّم له لا يشتغل بغيره؛ فهو يستفرغ جهده في التعليم، والصبيّ في التعليم كذلك، ويسهل عليه؛ لأنه بتصوير يحذو حذوه»[١٦]. وكان لهم في المغرب طريقة ومذهب يختلف عما كان عليه في الشام، فكان همّهم في تعليم الأولاد «الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شعر، ولا كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة»[١٧].

أما أهل الأندلس، فإضافةً إلى أنهم جعلوا القرآن الكريم والكتابة أساساً في التعليم، إلا أنهم كانوا «يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الأغلب، والترسّل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجويد الخط والحساب»[١٨].

أما «أهل إفريقية (المقصود أهل ليبيا وتونس)، فإنهم يخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم، وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته، أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تبع لذلك»[١٩].

ويقدّم القاضي أبو بكر بن العربي رؤيةً أخرى في تعليم الأولاد، فهو يقدّم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم؛ «لأن الشعر ديوان العرب، ويدعو إلى تقديمه. وتعليم العربية

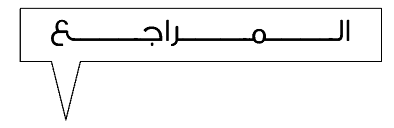
لم تُعرف الكتاتيب وتنتشر في بلاد العرب إلا بعد الإسلام، عندما أخذوا في الاختلاط بشعوب البلدان المفتوحة من الفرس والروم وغيرهم

في التعليم ضرورة فساد اللغة. ثم ينتقل منه إلى الحساب، فيتمرّن حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن؛ فإنه يتيسّر عليه بهذه المقدمة»[٢٠]، ثم يقول: «ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبيّ بكتاب الله في أول أمره، يقرأ ما لا يفهم، وينصب في أمر غيره أهمّ عليه»[٢١]. كما أنه نهى عن أن يتلقّى الولد في أول تعلّمه علمين في وقت واحد، إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط. وقد أبدى ابن خلدون إعجابه بمذهب ابن العربي التعليمي، فقال: «وهو - لعمري - مذهب حسن، فيما لو أن الولد حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق»[٢٢].

وهكذا نرى أنه مع تعدّد طرائق التعليم، إلا أن تعليم القرآن الكريم كان أساساً في تعلّم العربية، مع تفاوت في الاهتمام بالعلوم الأخرى، وكذلك مع تفاوت في الاهتمام بتجويد الخط وتحسينه. وقد ظهرت المصطلحات المختلفة التي تدلّ على المهن التعليمية؛ فقد أصبحت كلمة (المكتِّب) تدلّ على من يعلّم الخط والكتابة، و(المُقْرِئ) الذي يُقرئ التلاميذ القرآن الكريم، و(المؤدِّب) الذي يعلم الأولاد التربية والسلوك والأدب والشعر، وهو مصطلح أوسع وأشمل، وأصبحت هذه المصطلحات التعليمية دالةً على أصحابها؛ فقد روى ابن عساكر «عن أبي الحسن رشأ بن نظيف، أنبأنا أبو شعيب المكتِّب... وأبو بكر المقرئ، وأبو الحسين بن المظفر الحافظ، وأبو هاشم المؤدب»[٢٣].

وكانت هذه المرحلة التعليمية من مراحل تعلّم العربية تنتهي غالباً عند سنّ الثانية عشرة، ينتقل الطالب بعدها إذا أراد الاستمرار في تحصيل علوم العربية إلى المرحلة التالية، التي ستؤهّله للتخصّص والنظر في العلوم التي يراها مناسبةً لميوله. وكانت هذه المرحلة تبدأ في المساجد ومجالس العلم التي كان يعقدها العلماء، إلى أن أخذت المدارس دورها التعليمي إلى جانب الأمكنة السابقة، وبعدها الجامعات والمعاهد.

تعليم القرآن الكريم كان أساساً في تعلّم العربية، مع تفاوت في الاهتمام بالعلوم الأخرى، وكذلك مع تفاوت في الاهتمام بتجويد الخط وتحسينه



(١) ابن خلدون، المقدِّمة، طبعة قديمة لم يُذكر فيها تاريخ الطباعة أو مكانها، ص٤٩٤.
(٢) السابق.
(٣) محمود السيد، طرائق تدريس اللغة العربية، دمشق: مطبعة الاتحاد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
(٤) عارف عبدالغني، نُظم التعليم عند المسلمين، دمشق: دار كنان، ١٩٩٣م، ص٤٨.
(٥) العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٥٤.
(٦) مقدمة ابن خلدون، ص٤٣٩.
(٧) نُظم التعليم عند المسلمين، ص٥٦.
(٨) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم نجار، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ج١، ص٢٤٤.
(٩) السابق.
(١٠) أبو بكر الصولي، الأوراق، تحقيق: أنس خاليدوف، سان بطرسبورغ، روسيا، ١٩٩٨م، ص٥٤٥.
(١١) عبداللطيف بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، المملكة العربية السعودية، ص٤٧.
(١٢) نُظم التعليم عند المسلمين، ص٥٥.
(١٣) نُظم التعليم عند المسلمين، ص٥٣.
(١٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة.
(١٥) الأصبهاني، الأغاني، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص٢١٩.
(١٦) ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ص٢٦٠.
(١٧) مقدمة ابن خلدون، ص٤٧٣.
(١٨) السابق.
(١٩) السابق.
(٢٠) السابق، ص٤٧٥.
(٢١) السابق.
(٢٢) السابق.
(٢٣) ابن عساكر، التاريخ، الجزء المبدوء بحرف العين، ص٨٠، ١٠٩.

قصائد عمر أبو ريشة
المهداة إلى الملك فيصل

يوسف سليم قرنوب
الرياض – السعودية

يـا فـيـصـلاً لـلـحـق، يـا | عـلـم الـكـرامـة والإبـاءِ
أنـا مـن عـرفـتَ مـن الـرجا | ل الـمـؤمـنـين الأوفـيـاءِ
وتـركـتـنـي وحـدي ورا | ء خـطـاك مـرفـوع الـلـواءِ
يـا فـيـصـلاً لـلـحـق، بـيـ | ـن يـديـك سـِفْـرٌ مـن ولائـي
هـو لـلـوفـاء جـمـعـتُـهُ | ونشـرتُهُ، لا للـرجاءِ

بهذه الأبيات الجميلة يصدّر عمر أبو ريشة مجموعة من القصائد أهداها إلى الملك فيصل بن عبدالعزيز، وهي قصائد كتبها في أوقات ومناسبات مختلفة، ولم تُنشر في حينها، لكنه جمعها ونشرها بعد استشهاد الملك، وسماها (أمرك يا ربّ)، وهي الجملة الأخيرة التي نطق بها المغفور له قبل استشهاده.

وُلد عمر أبو ريشة في عكا عام ١٩١٠م، ثم انتقلت العائلة إلى منبج، ثم الباب، ثم جسر الشغور في شمال سورية، وكان لوالده شافع أبو ريشة اتصالات مع بعض الثوار الذين اجتمعوا ضد الدولة العثمانية، لكنه لم يُعدم معهم، وبقي في تركيا حتى وضعت الحرب أوزارها، فعاد إلى حلب.

بعد انتهاء الدراسة الابتدائية ذهب أبو ريشة إلى بيروت للدراسة في الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٥م، وحاز على الشهادة الثانوية عام ١٩٢٨م، ثم سافر إلى لندن لدراسة الكيمياء وصناعة النسيج والأصبغة.

ومع أن دراسته علمية إلا أن الحسّ الأدبي عند أبو ريشة كان ينمو باستمرار؛ فقد درس الأدب الإنجليزي، وقرأ شكسبير وبراونينغ وآلان بو، كما تعلّم في لندن اللغة الفرنسية، وقرأ بودلير ورامبو.

في عام ١٩٣٢م عاد إلى حلب، وانتمى إلى حركة الشباب الوطني التي جمعت كثيراً من أقطاب السياسة والنضال الوطني، وتعرض للسجن أكثر من مرة في حلب ودمشق. بعدئذٍ افتتح محلاً للأصبغة في مشغرة. وفي عام ١٩٤٠م انتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق، كما عيِّن محافظاً لدار الكتب الوطنية بحلب، وتزوج في العام ذاته أيضاً.

تبوّأ أبو ريشة عدة مناصب في السلك الدبلوماسي في البرازيل، والأرجنتين، والهند، والنمسا، والولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٧٠م استقال من السلك الدبلوماسي، وأقام ببيروت، وكانت وفاته في الرياض عام ١٩٩٠م.

يتميّز شعر أبو ريشة بالسلاسة والأناقة، إضافةً إلى الصور، والموسيقا الجميلة، والتناغم بين المفردات والأبيات، كما أنه يلجأ في كثير من قصائده إلى أسلوب (الحبكة القصصية)؛ مما يعطي القصيدة جمالاً وتشويقاً، حتى إنه كتب مسرحيات شعرية كثيرة.

تناول أبو ريشة في شعره موضوعات متعددة، أهمها موضوعان: الوطن، والمرأة. فقد عايش الشاعر هموم وطنه أولاً بأول، وكان له موقف من كلّ الأحداث المهمة؛ فيوم خرج المستعمر الفرنسي أنشد الشاعر فرحاً:

يا عروس المجد تيهي في مغانينا ذيول الشهب
واسحبيلن تري حبة رمل فوقها لم تعطّر بدما حرَ أبي

ويوم حصلت نكبة عام ١٩٤٨م أطلق الشاعر صيحة الحزن والألم، ودعا إلى استنهاض الهمم:

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم؟
أتلقاك وطرفي مطرق خجلاً من أمسك المنصرم

قصائد أبو ريشة المهداة إلى الملك فيصل

يقول الشاعر: «هي مجموعة قصائد وأبيات متفرّقة، أسمعت الفيصل بعضها في المملكة العربية السعودية، وبعضها في الولايات المتحدة الأمريكية أيام كنتُ سفيراً لسورية في واشنطن وممثّلاً لها في الأمم المتحدة في نيويورك أوائل الستينيات».

إن قارئ هذه القصائد يلمس اختلافها وتميّزها من الخط العام للشاعر، كما يلمح من خلالها نفحات دينية وإنسانية راقية. فمن جهة نعرف أن الشاعر نشأ في بيئة ذات طابع تأمّلي صوفي، ومن أقواله التي تعبّر عن ذلك: «هناكٍ شريعة، وهناك حقيقة... والشريعة هي طريق الوصول إلى الحقيقة، كما أن الخلق درب لمعرفة الخالق».

ومن جهة ثانية، فالشاعر عمل في أصقاع الأرض، ولمس معاناة الناس، كما تحسّس مشكلات الإنسان العربي، وعبّر عنها بصدق. يُضاف إلى ذلك أن أبو ريشة كان رجلاً ذا موقف، وقد أعجب بالفيصل، ورأى فيه شخصية متميزة ذات حضور عربي وعالمي فعّال. وتجتمع هذه العوامل في كلّ قصائد المجموعة؛ ففي قصيدة بعنوان (من ناداني) يصف الشاعر بشفافية جوهر الإيمان، وأنه ليس فقط أداء الشعائر، بل مساعدة الآخرين:

كم صلاة صلّيتُ لم يتجاوز قدس آياتها حدود لساني
كم صيام عانيتُ جوعي فيه ونسيتُ الجياع من إخواني
ربّ عفواً إن عشتُ ديني ألفا ظاً عجافاً ولم أعشه معاني

ثم يتّجه بخطابه نحو الملك فيصل، فيصف له حال الأمة العربية، ومعاناة الأحرار العرب من الاحتلال الخارجي والظلم الداخلي، ويرى في جلالته الأمل في رفع هذه المعاناة؛ لما يعرفه من أخلاقه وسجاياه:

يا بن عبدالعزيز.. وانتفض العزّ   وأصغى.. وقال: من ناداني؟
قلتُ: ذاك الجريح في القدس.. في سيـ   ـناء.. في الضفتين.. في الجولانِ
قلتُ: ذاك السجين يقبع في السجـ   ـن.. فراراً من خسّة السجانِ
قلتُ: ذاك الأبيّ يشهق بالصمـ   ـت.. وتُرمى أقلامه بامتهانِ
يا بن عبدالعزيز تلك صحابي   لك منها تحية الرحمنِ
كُنْ لها بسمة العزاء فقد طا   ل عليها تجهّم الأحزانِ

وفي قصيدة تحمل عنوان (أنا في مكة) يشيد بمناقب الملك فيصل، ويرى فيه شخصيةً عالميةً دخلت التاريخ من أوسع أبوابه:

يا بن عبدالعزيز.. يا لنداءٍ   في مداه ناديتَ كلّ الرجال
شئتَ أم لم تشأ فأنت مع التا   ريخ في موعدٍ يتيم المثال
لم تهادن ولم تزل تتحدى   كلّ باغ أو غادر ختّال
ليس عاراً إن في النضال عثرنا   إنما العار في اجتناب النضال

أما قصيدته التي عُنونت بها المجموعة (أمرك يا ربّ)، فتعبّر عن الامتثال لأمر الخالق والرضا بقضائه:

يا ربّ أمرك هذا لا أطيق له   رداً؛ فأمرك يا رب تولاّني
الحبّ أكرمني، لم يبق متسعاً   في القلب مني لأحداث وأضغانِ
كم فضت الحرب عن سمعي نظائره   وعفّرت بغبار البيد أرداني
وكم مشى الموت في دربي وأوسع لي   مجال خطوي، أكان الموت يخشاني؟!

وبين قصائد هذه المجموعة قصيدة ذات طابع فلسفي يعبّر فيها الشاعر عن حبّه الإنسانية، وارتباطه بها؛ إذ يتخيّل أن ملك الموت أخذه بين جناحيه، وجال به بين الكواكب، وطلب منه أن يختار كوكباً يعيش فيه حياة أخرى سعيدة، لكن الشاعر اختار ثانيةً كوكب الأرض:

ملاك الموت طاف بي الأعالي   وشقّ بها غياهب كلّ تيهِ
وأبرز لي النجوم، وكلّ نجمٍ   يتيه بما لديه على أخيهِ
وقال لي: انتقِ المأوى فإني   أريدك تنتقي ما تشتهيهِ
فأنتَ شقيت في دنياك مما   بلوتَ بها من العيش الكريهِ
فأين تريد أن تحيا بعيداً   عن القلق المرير وعن بنيهِ
ولاح إليّ نجم من بعيدٍ   تفلّت من مواكب راصديهِ
فقلتُ هناك.. قالَ بكل رفقٍ:   هو النجم الذي قد متّ فيهِ



جاك شيراك.. كل خطوة يجب أن تكون هدفاً

انشراح سعدي
الجزائر – الجزائر

ضمّ الجزء الأول من مذكرات جاك شيراك (كل خطوة يجب أن تكون هدفاً)، الصادر عن منشورات نيل التابعة لمجموعة روبير لافون، ٢٤ فصلاً في ٥١٢ صفحة. وغطّت المذكرات السنوات الثلاث والستين الأولى من حياة شيراك منذ ولادته عام ١٩٣٢م حتى انتخابه رئيساً للجمهورية الفرنسية عام ١٩٩٥م، ليتناول الجزء الثاني الذي يعكف شيراك على كتابته المرحلة الرئاسية مروراً بسياسة فرنسا الخارجية، وانتهاءً بعزوفه عن الترشّح لمدة رئاسية ثالثة.

تحدث شيراك في الجزء الأول عن الطفولة والصبا، وعن الخيانات والإخلاص والحب، بدءاً بحياته وسط أسرة متواضعة، وصولاً إلى أهم اللقاءات المحورية التي غيّرت مساره بشكل أو بآخر، ومختلف المعارك السياسية التي خاضها للدفاع عن أفكاره.

قال جاك شيراك في الفصل الأول من المذكرات عن أسرته: إنه كان ينتمي إلى أسرة متواضعة، لكنها كانت مشغولة بكل النقاشات التي عرفتها الجمهورية في القرن الماضي؛ إذ كان الجد يعمل معلماً، وعلى درجة كبيرة من الوعي السياسي والحضاري؛ وقد عوّد شيراك منذ طفولته على زيارة المتاحف، خصوصاً متحف خيمي؛ لتعرّف قوة الحضارة الآسيوية، وهو تأثير ظلّ يرافقه طوال حياته؛ فقد اهتم بتاريخ الإنسانية؛ فهو يقول في مذكراته: «كنت أهتم بتاريخ الإنسان: من أين جئنا. وإلى أين نحن ذاهبون؟ وما الرابطة التي تجمعنا بأقدم الشعوب؟ وكيف تكوّنت هوياتنا، وثقافاتنا، ومعتقداتنا، وطرائق عيشنا؟ وما مستقبل النوع البشري الذي سينتهي لا محالة كسائر الكائنات الأخرى إلى الانقراض؟. هذه الأسئلة استمرت منذ سنوات تغذّي تفكيري السياسي، وتلهم تصوّري المشكلات الوطنية والدولية التي يعرفها عالم اليوم. وعندما أسأل عن التزامي في الحياة السياسية منذ أربعة عقود أصل إلى نتيجة، هي أن كل شيء مرتبط لديّ بهذا الشغف بالإنسان. وكل مخلوق هو منفرد، ولا يشبه الآخرين، ولا يمكن تعويضه... ولا شيء كان يدفعني أو يهيئني إلى ممارسة حياة سياسية. ومع أن الأمر كان مثيراً فلم يكن هناك شيء يهيئني في يوم من الأيام إلى تحمّل المسؤوليات العليا في الدولة. ومنذ مدة طويلة كانت تطلّعاتي ومعتقداتي مختلفة مع أنها كانت بشكل أو بآخر تدخل في خدمة بلدي».

> شيراك: ما أخذني نحو الشيوعية بشكل قصير هو المثالية السلمية كعدد كبير من شباب جيلي الذين أرهبهم ما وقع في تراجيديا هيروشيما

كل المهن إلا السياسة

تحدث شيراك في الجزء الأول من مذكراته عن الطريقة التي أدخلته عالم السياسة، وتذكّر بألم موت والده الروحي، أو (أبي السياسي) كما سمّاه في المذكرات، وهو جورج بومبيدو، وعاد بذاكرة دقيقة وتصويرية إلى المعارك التي قادها ضد خصمه السياسي فاليري جيسكار ديستان. وأطنب على مدار عدة فصول في الحديث عن هذه العلاقات المعقدة والمضطربة إلى يومنا الحالي في محاولة منه لتوضيح أسباب انتصار اليسار عام ١٩٨١م وإظهار من كان مسؤولاً عن انقسام اليمين للفرنسيين؛ إذ قال: «في البداية كنت أرغب في الدخول إلى مهنة الجندية؛ بسبب حرب الجزائر. وعندما خرجت من المدرسة الوطنية للإدارة العمومية كنت أطمح إلى مدير للملاحة المدنية، أو مسؤول عن بنك فرنسا كما كان يطمح والدي. المصادفة فقط هي التي كانت وراء دخولي عالم السياسة عام ١٩٦٧م عندما كنت أبلغ من العمر ٣٥ عاماً من خلال أمر وجه إليّ. كنت أعمل في ديوان الوزير الأول جورج بومبيدو سنة ١٩٦٢م، الذي استدعاني في مايو عام ١٩٦٦م، وطلب مني أن أتقدم إلى الانتخابات التشريعية في باريس. هكذا يمكنك أن تخدمني أكثر، يقول الوزير الأول. أمام هذا الأمر الذي فاجأني أجبته: إنني لم أخلق لذلك؛ لأنه كانت لي مشروعات أخرى، لكنني امتثلت للأمر».

العمل إلى جانب الوزير الأول جورج بومبيدو هو الذي غيّر مسار جاك شيراك، وأدخله إلى عالم السياسة الذي لم يخرج منه إلا بانتخابه مرتين في أعلى منصب في الجمهورية، وهو الرئاسة، عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٢م. إنه مسار استثنائي يبدو أن جاك



جاك، شيراك وصدام حسين في أيام الصفاء

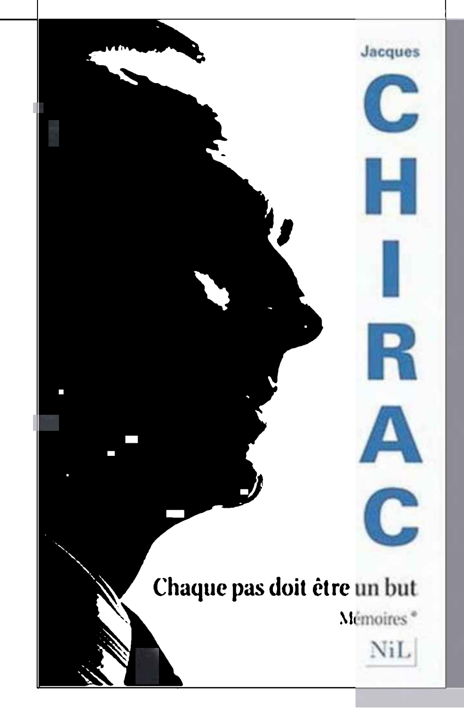
شيراك نفسه لم يكن يتوقعه بعد أن انغمس في الحياة السياسية للجمهورية أربعة عقود، بدأت بانتخابه عضواً في البرلمان عام ١٩٦٦م عن منطقة الكوريز التي تنتمي إليها عائلته، وتعيينه من طرف بومبيدو كاتباً للدولة مسؤولاً عن الشغل عام ١٩٦٧م. هذه المسؤوليات السياسية، والنجاح الانتخابي، هما اللذان جعلا من جاك شيراك رجلاً استثنائياً في السياسة الفرنسية، وعضواً أساسياً لا يمكن تجاوزه في العائلة الدوغولية واليمين الفرنسي خلال أربعة عقود. إنه مسار استثنائي لرجل أراد أن يمارس عدة مهن إلا السياسة؛ فقد اشتغل بحاراً في إحدى الباخرات التي تربط فرنسا بالجزائر، لكن الأب كان حاضراً لمنعه من التوجّه إلى هذا المسار، والعودة إلى إتمام دراسته العليا.

الشيوعية ساقتني إلى المثالية السلمية

في الفصل الثاني من مذكراته تحدث جاك شيراك عن تكوينه الجامعي والإداري، وأسفاره، وتذكّر ماضيه الطلابي، ومواقف كانت علامات فاصلة في تاريخه ومساره، بدءاً بتوزيعه صحيفة الحزب الشيوعي في باريس، وصولاً إلى توقيعه بيان ستوكهولم ضد انتشار الأسلحة النووية؛ مما أدى إلى

إضاءة

جاك رينيه شيراك: سياسي فرنسي اشتراكي التوجّه، ولد في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٣٢م، وانتخب لمنصب رئاسة الجمهورية الفرنسية في عام ١٩٩٥م، وجُدّد له في عام ٢٠٠٢م، وانتهت رئاسته في ١٧ مايو عام ٢٠٠٧م. تولّى منصب عمدة باريس ١٨ عاماً، من عام ١٩٧٧م إلى عام ١٩٩٥م. وتولى رئاسة وزارة فرنسا مرتين: من ٢٧ مايو عام ١٩٧٤م إلى ٢٦ أغسطس عام ١٩٧٦م، ومن ٢٠ مارس عام ١٩٨٦م إلى ١٠ مايو عام ١٩٨٨م. تزوّج شيراك برناديت شودرون دو كورسال في ١٦ مارس عام ١٩٥٦م، وله ابنتان: لورانس، وكلود.



غلاف الكتاب

فصله من لائحة طلبة (ضابط الاحتياط)؛ بسبب الانتماء إلى الماضي الشيوعي. وسرد شيراك المشكلات التي تعرّض لها في السفارة الأمريكية للحصول على التأشيرة؛ بسبب توقيعه على بيان ستوكهولم، فيقول: «لقد وقّعت في سن ١٨ عاماً على بيان ستوكهولم، الذي أطلقته الحركة العالمية للسلام عام ١٩٥٠م للمطالبة بالمنع النهائي للنووي، وكذلك قمتُ ببيع صحيفة ليمانيتي يوم الأحد أمام كنيسة سان سيلبيس. هذا الالتزام العابر لم يكن بالنسبة إليّ أيديولوجياً، خصوصاً أنني بعيد من هذا النوع من الاعتقاد، وليس لي من مثال في حياتي إلا اللاعنف الذي يمثّله المهاتما غاندي، وقد تأثّرت بحادثة اغتياله واختفائه؛ إذ كانت إحدى أهم الصدمات في حياتي كمراهق عام ١٩٤٨م».

وعن ولوجه عالم الشيوعية، قال شيراك: «ما أخذني نحو الشيوعية بشكل قصير هو المثالية السلمية كعدد كبير من شباب جيلي الذين أرهبهم ما وقع في تراجيديا هيروشيما، وكنت ضد أيّ إعادة استعمال للسلاح النووي، ولم أكن أجهل أن الذين دفعوني إلى التوقيع على بيان ستوكهولم هم من الحزب الشيوعي. وهذا أمر لم يكن يزعجني، وكانوا يقومون باستدعائي لاجتماعات الخلية، وكانوا يقولون لي: إذا أردت الانضمام إلى الحزب الشيوعي فعليك ببيع صحيفة ليمانيتي. وهذا الأمر قمتُ به في عدد من أيام الآحاد... مما مكّنني من تعرّف كيف كنت ضحية الدعاية الستالينية، وهو ما جعلني أبتعد بسرعة من رفاقي».

ويضيف شيراك في مذكراته: «في السنة الأولى للعلوم السياسية ارتبطت بعلاقات صداقة مع طلبة اليسار، منهم ميشيل روكار الذي كنت معجباً بذكائه الكبير، وحساسيته، ونشاطه. كان يتكلم بسرعة، ويركب دراجة سوليكس، ويدخن مثلي. كان متهيجاً، على عجل من أمره، غير صبور، ويحمل على ظهره حقيبة مملوءة بالكتب والملفات، وكان أحد ناشطي مجموعة الطلبة الاشتراكيين مع أحد أصدقائي جيرار بيلورجي، وقد أسّس حلقة الدراسات السياسية والاجتماعية. وكنت أحسّ بتوافق مع قناعاته ضد الكولونيالية، ومع حركة العالم الثالث، وكنت أعدّه أحياناً معتدلاً جداً في مواقفه. في أحد الأيام طلب مني ميشيل روكار الانضمام إلى تنظيمه، وأجبته بعد أن رافقته إلى اجتماع الفرع بأن حزبه يبدو لي محافظاً وانفعالياً وتنقصه الديناميكية. وكنت أعدّ تنظيمه غير يساري بما يكفي... كنت أنا وميشيل روكار متفقين حول هذه النقطة. لقد كان لنا حكم ليس بالجيد حول الحزب الاشتراكي آنذاك؛ فهو حزب فاقد للمصداقية، ومنحلّ مثل الجمهورية الرابعة التي أعدّ جي مولي أحد المسؤولين عن ذلك».

وعلى الرغم من كل هذا الماضي، فإن جاك شيراك لم يلتحق لا بالحزب الشيوعي الفرنسي، ولا بحلقة الاشتراكيين التي كان يشرف عليها.

محاولة اغتيال القذافي واهتزاز كرسي الإليزيه

ويعود شيراك بذكرياته إلى عام ١٩٨٦م، وبالتحديد إلى اتصال من الرئيس الأمريكي رونالد ريغان قائلاً: «سوف نغتال القذافي، نحن في حاجة إلى أن تمرّ الطائرات الحربية الأمريكية فوق التراب الفرنسي». ويضيف: «صدمني هذا الأمر؛ محاولة إشراك فرنسا في عملية لم تتم استشارتها فيها. رفضت في الحال الطلب الأمريكي، وقلت للرئيس الأمريكي رونالد ريغان: لن تشارك فرنسا في هذه القضية، إنكم في الغالب لن تتمكنوا

من تحقيق هدفكم؛ فنادراً ما ينجح هذا النوع من العمليات. وهكذا أجبرت الطائرات الأمريكية على عدم استعمال الأجواء الفرنسية في قصف طرابلس وبنغازي. بعد ذلك بأربعة أيام تمكّنوا فقط من قتل إحدى بنات الزعيم الليبي. أخبرت الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران بفحوى المكالمة التي تلقيتها من الرئيس الأمريكي رونالد ريغان، ورفضي الطلب الأمريكي. الطلب نفسه وُجّه إلى رئيس الدولة الذي أخبرني أنه رفض كذلك. كان لنا الردّ نفسه من دون أن نحتاج إلى التشاور في الأمر، وهو ما جعلني أصرخ للتلفاز بكل تلقائية بعد يومين: إنني أخذت القرار الذي وافق عليه الرئيس، وهو الأمر الذي لا يجانب الحقيقة... رئيس الدولة لم يتأخر في إخباري أنه الوحيد الذي له صلاحية أخذ هذا النوع من القرارات التي تدخل في الصلاحيات المخصّصة له».

بهذا الرفض للطلب الأمريكي حافظ جاك شيراك على التقليد الدوغولي الذي يعدّ نفسه وارثاً له مع مجموعة من أصدقائه، هذا الخط السياسي الذي يصبو إلى عدم التورّط مع الحليف الأمريكي في سياسة تصفية الحسابات كما قامت بذلك عندما أرادت الانتقام من ليبيا في قضية مجموعة من العمليات التي عرفتها أوربا وأودت بحيات عدد من الأمريكيين.

هذا الرفض للتبعية الأمريكية سوف يكرّره الرئيس الفرنسي جاك شيراك، لكن هذه المرة ليس كوزير أول، بل كرئيس للجمهورية بعد أن رفض الانسياق وراء مشروع الغزو الأمريكي للعراق، وهو الفخ الذي مازالت الولايات المتحدة الأمريكية غارقة في انعكاساته الوخيمة إلى اليوم.

يعود جاك شيراك إلى الحديث عن الخلافات التي وقعت بينه وبين ميتران في مدة التعايش السياسي بين اليمين واليسار في فصل سمّاه (فرنسا بصوتين)، خصوصاً أنه في أثناء التعايش رأى فرانسوا ميتران أن هناك مجالين له فيهما كل الصلاحية في تسيير شؤون الدولة الفرنسية، هما: الدفاع، والخارجية. لكن جاك شيراك الوزير الأول لم يكن مع هذا الرأي، وكان يرى أن للوزير الأول كلمته في قضايا الدفاع الوطني كذلك. وبعد حادث قصف ليبيا جاء حادث آخر بين الرجلين، وهو قمة الدول السبع التي انعقدت في طوكيو عام ١٩٨٦م. يقول شيراك: «كان لا بد من حادث إضافي من أجل أن يغيّر الرئيس موقفه، وليتوقف عن التفكير في أن الدبلوماسية مجال خاصّ به وحده. عبّرت للرئيس عن رغبتي في المشاركة في هذه القمة؛ لأنها تتضمّن موضوعاً من موضوعات أخرى تهمّني، وهو محاربة الإرهاب الدولي. كان الرئيس يريد السفر إلى قمة طوكيو برفقة وزير الخارجية فقط، وقد فاجأه طلبي إن لم أقل أغضبه؛ أن أفرض نفسي في لقاء لرؤساء الدول ليس لي أيّ مسوّغ لحضوره حسب رأيه. وكنت لا أشاركه رأيه في وضعية التعايش السياسي الذي كانت تعيشه فرنسا في هذه اللحظة. ورفض الرئيس أن أصاحبه إلى طوكيو، لكن طلب مني أن ألتحق به بدل أن أصل قبله كما صرّحت في وسائل الإعلام من أجل اللقاء مع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان قبل افتتاح القمة، توافق بروتوكولي قصد الالتقاء مع الرئيس الأمريكي. لم يمرّ وجودنا معاً في طوكيو من دون أن يلاحظه الجميع، وكل واحد فهم أن الرئيس فرانسوا ميتران لم تعد له كل الصلاحيات في تسيير الشؤون الدبلوماسية، بل يقتسم جزءاً منها مع وزيره الأول».

يذكر جاك شيراك في آخر هذا الفصل أنه على الرغم من

شيراك في إحدى الفعاليات



العمل إلى جانب الوزير الأول جورج بومبيدو غيّر مسار جاك شيراك، وأدخله إلى عالم السياسة الذي لم يخرج منه إلا بانتخابه مرتين في أعلى منصب في الجمهورية

بعض الخلافات البسيطة، فإن رؤيته السياسة الخارجية كان يطبعها التكامل بينه وبين الرئيس فرانسوا ميتران، سواء حول قضايا الشرق الأوسط أم أوربا.

صدام حسين وجاك شيراك

عندما يتقدم السرد بجاك شيراك يتحدث عن العلاقة التي جمعته وزيراً أول بالرئيس العراقي صدام حسين، فيقول في فصل سمّاه (خلال العمل): «كنت مسؤولاً عن التفاوض مع العراق حول اتفاقيات تعاون في مجال الطاقة وفي المجال العسكري، وهو ما جعلني ألتقي المسؤول الأول في العراق، وهو صدام حسين، ثلاث مرات: الأولى عام ١٩٧٤م في أول زيارة لي إلى بغداد، وبعد ذلك في سبتمبر عام ١٩٧٥م في باريس بمناسبة الزيارة الرسمية للمسؤول العراقي، ومرةً أخرى عام ١٩٧٦م في بغداد من جديد؛ إذ توقفت في بغداد برفقة وزير التجارة الخارجية ريمون بار بعد أن كنا في زيارة رسمية إلى الهند».

يقول شيراك عن صدام حسين: «كان الرجل يبدو لي ذكياً وبشوشاً، يستقبلني في منزله، ويعاملني كصديق شخصي، وحرارة استقباله لا يمكن أن تخفى على أحد، ولقاءاتنا كانت تتمّ في ظروف ودية جداً». وأضاف: «كانت دائماً لي سهولة في اللقاء مع رؤساء الدول العربية، ربما لأنه كانت لهم صراحة لا يتمتع بها نظراؤهم الغربيون، إضافةً إلى أن العراق بلد مثير جداً، وسوف يحتلّ مركزاً متميزاً بين الأمم الكبرى تناسب مكانته».

وذكر شيراك في مذكراته علاقة صدام حسين وآية الله الخميني قائلاً: «في عام ١٩٧٨م قام صدام حسين بطرد آية الله الخميني الذي كان لاجئاً بالعراق عدة سنوات، ومن خلال سفيره في باريس أبلغني صدام حسين رسالةً يوصيني من خلالها بعدم استقبال الخميني في فرنسا؛ لأن أغلب البلدان الغربية رفضت استقباله، وفرنسا هي الوحيدة التي بإمكانها ذلك. حذّرني صدام في رسالته من الأمر الآتي: عليكم بالحذر، اتركوه يرحل إلى ليبيا؛ لأن ما سيقوله في فرنسا سيكون له انعكاس دولي، وما سيقوله في ليبيا لن يسمع به أحد. ولأنني لم أكن وزيراً أول بعث صدام الرسالة إلى الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان، الذي لم يأخذها في الحسبان، بل قام بعكس ما كان منتظراً منه؛ أي: ما طلبه الرئيس العراقي. وكان لاستقبال فرنسا الخميني عواقب كبيرة جداً، لا يمكن تداركها، سواء بالنسبة إلى مستقبل إيران أم الاستقرار في العالم». وأضاف شيراك: «كان هذا آخر تبادل بيني وبين صدام، بعدها لم أره». وقال عن صدام: «كان وطنياً كبيراً، وكانت له أنفة واعتزاز كبيران يعكسان الطموحات الكبيرة لبلده. عندما علمت بعد ذلك بعدة سنوات الحماقات القمعية التي انتابت هذا الديكتاتور قطعت كلّ الصلات الشخصية به. وهذا الأمر لم يمنع فيما بعد أنني صدمت عندما رأيت الطريقة التي عُومل بها؛ هذا القتل الليلي الذي تمّ بالهمجية نفسها التي اتهم بها صدام وتوبع من أجلها».

بيرناديت شيراك.. وراء كل عظيم امرأة

كان للحياة الخاصة لجاك شيراك نصيب من المذكرات؛ فقد التقى شيراك في كلية العلوم السياسية رفيقة حياته بيرناديت، وهي سليلة أسرة ميسورة، على خلاف زوجها الذي كان من أسرة متواضعة. لكن اللقاء بين هذين الطالبين القادمين من منطقة الكوريز في أعماق فرنسا خلق تكاملاً بينهما على الرغم من أن أسرة بيرناديت كانت متردّدة في الموافقة على زواج ابنتها من طالب شيوعي ومتمرّد، وليست له أيّ وضعية اجتماعية.

يقول شيراك عن هذه الحقبة: «إن أحد أساتذة العلوم السياسية في السنة الأولى كان يريد إشراكنا في العمل من خلال إنجاز عروض بالتناوب بين الطلبة. الصعوبة كانت هي من سيبدأ، شابة خرجت من حشمتها وتحفّظها رفعت أصبعها، وأعلنت تطوعها لإنجاز أول عرض. فوجئت، بل اندهشت، وهكذا استفسرت عنها. بعد ذلك بمدة اقترحت عليها الانضمام إلى إحدى مجموعات العمل التي كنت أرغب في تأسيسها، وكان تجتمع في منزل أسرتي. قبلت الدعوة، وهكذا ارتبطت ببرناديت دو كورسيل، وبدأت ألتقي بها. كانت بالنسبة إليّ فتاة لها شخصية قوية. تمّ نوع من التجاوب السريع بيني وبينها، وبدأنا نتعارف... لكنني سوف أكون كاذباً لو قلت: إنني قطعت صلتي بباقي الآنسات في العلوم السياسية. لكن هناك توافق عميق ومتميز بدأ بيني وبين بيرناديت، وبدأنا نتبادل الحديث والمكالمات الهاتفية. هكذا بدأنا نشعر بحاجة كل واحد



شيراك ورفيقة حياته

كان لاستقبال فرنسا الخميني عواقب كبيرة جداً، لا يمكن تداركها، سواء بالنسبة إلى مستقبل إيران أم الاستقرار في العالم

إلى الآخر. وكانت أكثر مني انضباطاً في العمل والمسؤولية، وكانت تعدّ لي أبحاث القراءة التي كنا ملزمين بإعدادها كل أسبوع، وأحياناً تقرأ مكاني الكتب المطلوبة؛ مثل: كتاب الديمقراطية الأمريكية لتوكفيل. وأنا مدين لها بالحصول على درجات أحسن منها... ومن جانبي كنت آخذها إلى أمكنة لم تكن معتادة عليها، خصوصاً أنه في ذلك الوقت لم تكن الفتيات من فئتها الاجتماعية يجلسن في مقاهي شارع السان جيرمان».

ويضيف شيراك: «في البداية كانت عائلة بيرناديت ترى رفيق دراسة من وضعية متواضعة ليس بالجزء المثالي لابنتهم، خصوصاً أنني كنت مازلت شاباً ومن دون وضعية، وكان يظهر أني يساري، بل أكثر من ذلك شيوعي. عندما عرف جدّاها إمكانية خطوبتنا تساءلا: هل هو على الأقل معمّد؟؛ فبيرناديت – يقول شيراك – هي من جهة أمها تنتمي إلى عائلة النبلاء، ومن جهة أبيها تنتمي إلى أرستقراطية تحمّل جزء منهم مسؤوليات، سواء في الدبلوماسية أم المؤسسة العسكرية في فرنسا». ويقول: «تزوّجت بيرناديت عام ١٩٥٦م. في البداية تحفّظ والداها على ذلك، وانتهى الأمر بموافقتهما على هذا الزواج، وأصبحت عائلتها أحد المشجعين الكبار لي، وكانت تجمعنا علاقة صراحة واحترام وعطف متبادل».

بعد ذلك لم تفارق بيرناديت شيراك زوجها إلى اليوم، لم تكن زوجةً فقط، بل رفيقته في كل الانتصارات السياسية التي حققها حتى أصبح رئيساً للجمهورية حقبتين رئاسيتين.

الأسماء مجرّدة لا تكفي

سعد عبدالرحمن البواردي

الرياض – السعودية

كم «سعيد» على الحياة «شقيّ»!   و«صفيّ» على المدى «خوّان»!

و«نضال» وفي النضال «جبان»!   و«عليّ» قد شدّه السفح «ذلاّ»!

كم «عزيز» وفي المعاش «ذليل»!   و«أديب» وما له «عنوان»!

و«شديد» وما له «العنفوان»!   و«كريم» البخل ينضح منه!

و«جميل» ما ذاق للحسن «طعما»!   و«سعاد» وما لها «خلاّن»!

و«عصام» وعمره «العصيان»!   و«حليم» كالرعد يقصف «حمقا»!

و«بهاء» والقبح يسكن فيه!   و«هيام» وقلبها «أشجان»!

و«رواء» وعودها «عطشان»!   و«سليم» لم يسلم الناس منه!

و«نهاد» قد هدّها الهمّ «حزنا»!   و«سلام» ونهجه «العدوان»!

و«نجاح» لم يُجْدِ فيه «امتحان»!   و«تقيّ» على الحياة «شقيّ»!

و«أمين» تبرّم «الأَمن» منه!   و«قُصيّ» بلا «أَنَسٍ» إنسان!



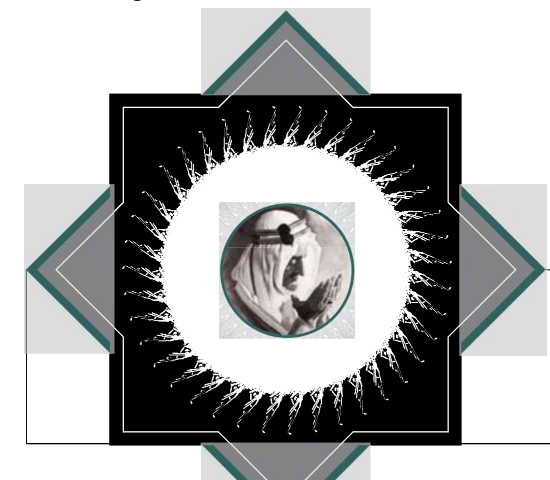
الأمير نايف يرعى

حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية

جائـزة خدمة الإسـلام لماليزي.. والدراسـات الإسـلامية لتركي وأردنـي.. والعلـوم لأمريكييـن.. والطـب لأمريكـي ويابانـي



جائزة الملك فيصل العالمية
King Faisal International Prize



نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - رعى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود - النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية - مساء الأحد ٨ ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ الموافق ١٣ مارس ٢٠١١م حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية الثالثة والثلاثين لسنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م للفائزين، وذلك بقاعة الأمير سلطان الكبرى في مركز الفيصلية التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض.

وألقى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز كلمةً بهذه المناسبة، قال فيها: «إنه لمن دواعي سعادتي وسروري أن أكون معكم في هذه المناسبة الكريمة، التي تُقام برعاية سامية من لدن سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - أعزّه الله ورعاه - والتي يتم من خلالها تسليم جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها لهذا العام، وهي الجائزة التي تعدّ بكلّ تجرّد وإنصاف من الجوائز المرموقة عالمياً؛ لما تتّسم به من مصداقية وموضوعية ونزاهة، كما لا يقتصر مردودها التقديري والتشجيعي على العرب والمسلمين؛ إذ إن ذلك متاح لكلّ من أسهم من العلماء والباحثين إسهاماً متميزاً في خدمة البشرية، وإثراء الفكر الإنساني بكل علم مفيد».

وأضاف سموه: «إن رعاية سيدي خادم الحرمين الشريفين وسيدي ولي العهد الأمين - حفظهما الله - لهذه الجائزة وغيرها من الجوائز التقديرية هو تجسيد لنهج هذه القيادة الرشيدة في تكريم العلم والعلماء، ودعم الأعمال ذات المردود الإيجابي في حياة الفرد والأمة، وتأكيد أهمية المناشط الخيرية في تشجيع العلماء والباحثين في كافة المجالات التي تعود بالخير والفائدة على الإنسانية جميعها».

وأكد سموه أن المملكة العربية السعودية، وهي تكرّم جهود العلماء والباحثين على مختلف جنسياتهم، إنما هي تؤدي واجباً دينياً ينسجم مع ثوابتها الإسلامية، بوصفها الموطن الأول لرسالة الإسلام، وهي الرسالة التي اهتمت بالعلم، وأعلت من شأن العلماء؛ إذ جعلتهم ورثة الأنبياء، وجعلت فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

وهنّأ الأمير نايف الفائزين، متمنياً أن يسهم هذا التقدير في دعم ما قاموا به من أبحاث ودراسات بالغة النفع والأهمية لعموم المجتمع الإنساني. كما شكر لسمو الأمير خالد الفيصل والقائمين على هذه الجائزة جهودهم المخلصة تجاه تحقيق الأهداف النبيلة التي أُنشئت من أجلها مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

وألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز الكلمة الآتية: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. صاحب السمو الملكي نائب خادم الحرمين الشريفين برعاية هذا الحفل الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية، أصحاب السمو، أصحاب المعالي والسعادة، حضرات الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية، أيها الحفل الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بلدي.. بلدي مهبط الوحي، وفجر رسالة السلام.. بلدي أُسِّس منذ البدء على مبادئ الإسلام.. بلدي يسابق بنهضته تسارع الأيام.. بلدي أفاخر بأهله ومواقفه.. نعم، نعم أفاخر بأهله ومواقفه الأنام.. بلدي لا شرقاً يقلّد ولا غرباً بنظام.. بلدي له نهج قرآني ومقام.. بلدي إما على الإسلام يبقى أو العيش حرام.

أيّها الفائزون، بلدي يكرّم فيكم العلم، ويشكر العلماء، بلدي لأهل الفكر والرأي فيه ينافس الأقوياء، والسلام عليكم».

عقب ذلك ألقى الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين - الأمين



سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز وسمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز يستقبلان الفائزين

العام لجائزة الملك فيصل العالمية - كلمةً رحّب فيها بسمو النائب الثاني والحضور، ثم أعلن أسماء الفائزين بالجائزة؛ إذ فاز الرئيس عبدالله أحمد بدوي - رئيس وزراء ماليزيا الأسبق - بجائزة خدمة الإسلام؛ تقديراً لعمله على تحسين العلاقات التعاونية الثنائية والمتعددة الأطراف من خلال قيادته النشيطة رابطة أمم جنوب شرق آسيا، وحركة عدم الانحياز، ومنظمة المؤتمر الإسلامي في مدة رئاسة ماليزيا هذه المنظمات الدولية بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٨م، كما عمل على تعزيز قدرة الاقتصاد الماليزي التنافسية ومتانته، وكذلك تعزيز التعليم العام والعالي في ماليزيا.

وألقى الرئيس بدوي كلمةً رحّب فيها بالحضور، معبّراً عن تشرّفه وفخره بنيل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وقال: «لقد كان المولى - سبحانه وتعالى - كريماً معي؛ إذ منحني الفرصة لخدمة

وطني وديني، وكنت مصمّماً على الإسهام - بكل السبل المتاحة لي - في تحسين أحوال الشعب الماليزي، وخدمة الإنسانية ما استطعت. وكان هدفي دائماً هو تعزيز أسباب الرفاهية الروحية والمادية في المجتمع الذي أعيش فيه، وآمل أن أكون قد وفّقت في ذلك». وأضاف: «الإسلام مُحاصَر، والمسلمون يتمُّ تصويرهم على نحو سلبي مُذلٍّ، وقد ظلُّوا يعانون من الفقر، والاضطهاد، والعدوان، والاحتلال في بعض أنحاء العالم. ومن هنا سعيت - من خلال الإسلام الحضاري - إلى إعادة الكرامة والعزة للمسلمين في كل مكان».

ونال جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية البروفيسور خليل إبراهيم إينالجك - التركي الجنسية - (بالاشتراك) عن كتابه (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية)، الجزء الأول، الذي يمثّل جهوده العلمية في ذلك المجال لمدة تزيد على ستة عقود، مؤسّساً بها مدرسةً جديدةً، متجاوزاً النظرة المركزية الأوربية في دراسة التاريخ العثماني، معتمداً في معلوماته على المصادر الأولية الوثائقية بطريقة استقرائية، مستفيداً من الأسلوب الكمّي، وقد أثّرت مدرسته هذه في الدراسات التاريخية العثمانية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

وألقى الدكتور بولنت أري نيابةً عنه كلمةً أشار فيها إلى أنه قبل ستة وعشرين عاماً جاء إلى الرياض للمشاركة في مؤتمر عُقد احتفالاً بذكرى تأسيس المملكة العربية السعودية، مشيراً إلى أنه نشر في البحث الذي قدّمه بعض الوثائق المأخوذة من الأرشيف العثماني. ولفت النظر إلى أنه لخّص نتائج دراساته في المجلّد الأول من كتاب (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية العثمانية)، المنشور عام ١٩٩٤م. وقال: «في ذلك المجلّد حاولت أن أبيّن بالأدلة المُوثّقة أن البلاد العربية شهدت خلال القرن السادس عشر تطوّراً سياسياً واقتصادياً ملموساً... إن تعاوننا في كتابة تاريخ الشرق الأوسط سيؤدي إلى نظرة متوازنة لتاريخ هذه المنطقة. وإنني سعيد للغاية بأن تنال جهودي في هذا المضمار تقدير لجنة الاختيار للجائزة، وأعتبر نيلي لها من أرفع الجوائز التي حصلت عليها حتى الآن».

ونال الجائزة بالاشتراك مع إينالجك الأستاذ الدكتور محمد عدنان بخيت الشيّاب، الأردني الجنسية، عن كتابه (دراسات في تاريخ بلاد الشام) بمجلداته الثلاثة (فلسطين، والأردن، وسوريا ولبنان)، التي أحاط فيها بجوانب بالغة الأهمية من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لتلك البلدان، مستقياً مادته العلمية من وثائق الأرشيف العثماني، وسجلات المحاكم الشرعية، إضافةً إلى المصادر التقليدية، مستخدماً الأسلوب الإحصائي البياني، ومستخلصاً معلومات جديدة مؤثّرة، ومؤسّساً بذلك مدرسةً عربيةً في هذا المجال.

وألقى الشيّاب كلمةً استعرض فيها قصة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي في المملكة منذ قيامها المبارك في مطلع القرن الماضي، وانتشار المدارس على مختلف مستوياتها للبنين والبنات في مدن المملكة وقراها، ثم قيام جامعات خلال النصف الثاني من ذلك القرن، إضافةً إلى ابتعاث الطلبة إلى أعرق الجامعات في العالم؛ للحصول على شهادات جامعية ودرجات ماجستير ودكتوراه. وأشار إلى أحدث الجامعات التي أنشئت في المملكة، وهي جامعة الملك عبد لله للعلوم والتقنية، الواعدة بالخير والعطاء، وأن الجامعات السعودية عُزِّزت بإنشاء الكراسيّ والوقفيات السخية عليها، فقامت بواجبها نحو حفظ التراث، ودراسته، والانخراط في عمليات البحث العلمي، الذي أضحى موضع احترام المؤسسات العلمية الرفيعة في العالم.

ومنحت لجنة اختيار جائزة الملك فيصل العالمية للطب، وموضوعها (العلاج بالخلايا الجذعية)، الجائزة مناصفةً الأستاذ الدكتور جيمس ثومسن - مدير قسم البيولوجية التعويضية في معهد مورجريدج للأبحاث بجامعة وسكنسن - والأستاذ الدكتور شينيا يماناكا؛ الباحث الرئيس في معهد جلادستون لأمراض القلب والأوعية الدموية في سان فرانسيسكو، ومدير مركز بحوث الخلايا المتعددة الأغراض وتطبيقاتها في جامعة كيوتو.

وقام جيمس ثومسن بأبحاث رائدة مكّنته من الحصول على خلايا جذعية من أجنة المقدّمات غير البشرية في عام ١٩٩٥م، ومن أجنة الإنسان في عام ١٩٩٨م، ونجح في عام ٢٠٠٧م في برمجة الخلايا الجلدية البالغة في الإنسان لتتحوّل إلى خلايا جنينية متعددة الأغراض شبيهة في وظائفها بالخلايا الجذعية، وهو ما أدى إلى فتح آفاق واسعة في مجال أبحاث الخلايا الجذعية، وشجّع كثيراً من الباحثين على القيام ببحوث حول



إمكانية استخدام الخلايا الجذعية في علاج بعض الأمراض.

وأعرب الدكتور ثومسن في كلمته عن تشرّفه بأن يكون فائزاً مشاركاً بجائزة الملك فيصل العالمية، وضيفاً على المملكة العربية السعودية، معبّراً عن عميق تقديره لمؤسسة الملك فيصل الخيرية والقائمين عليها، وأعضاء لجنة اختيار الجائزة؛ لمنحه هذا الشرف إلى جانب الدكتور يماناكا، وقال: «على الرغم من أن كثيراً من العلماء يحقّقون إنجازاً، وينالون تقديراً عليه بصفة فردية، إلا أن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن أفكارنا نادراً ما تكون برمّتها خاصةً بنا؛ فتاريخ العلوم ما هو إلا قصة من قصص العمل الجماعي العظيم، واليوم - كما في القرن الحادي عشر - حينما كان الخازن يضع أساس الطريقة العلمية يظلّ السعي إلى المعرفة رغبة إنسانية توحّدنا جميعاً». وأردف قائلاً: «واليوم، حينما أحثّ طلابي على إعادة النظر في المعلومات العلمية القائمة، وأتحدّاهم للتحقّق من صحة الفرضيات التي بُنيت عليها تلك المعلومات، فإنما

أفعل ذلك لأن علماء المسلمين أيضاً كان لديهم العمق الفكري الذي يحفزهم للتحقّق من دقة موروثهم العلمي».

أما د. شينيا يماناكا، فقام ببرمجة أرومات الخلايا الليفية من الفئران عام ٢٠٠٦م، ثم من جلد الإنسان عام ٢٠٠٧م، بتعديلها وراثياً لتصبح خلايا متعددة الإمكانيات تشبه الخلايا الجذعية؛ للإفادة منها في البحوث المتعلقة بالاستخدام الطبي للخلايا الجذعية، وذلك بالتزامن مع البروفيسور ثومسن.

وعبّر الدكتور يماناكا عن سعادته بنيل الجائزة، مشيداً بمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ولجنة اختيار الجائزة، وقال: «منذ عدة سنوات مضت كتبت مقالةً في صحيفة يابانية طرحت فيها بعض الأفكار، منها: أن العلوم هي عملية نزع لطبقات من الأقنعة التي تُغطّي الحقيقة، وكلما نزع العالم قناعاً تكشَّف له قناع آخر، لكن العالم يستطيع أحياناً – إذا توافر له قدر مناسب من الحظ – اكتشاف الحقيقة عندما يرفع غطاءً معيناً عنها. وعندئذٍ ينشر ذلك الباحث المحظوظ نتائج دراسته في مجلة علمية كبرى، فيكتسب شهرةً واسعةً. لكن يجب ألا ننسى أن إزالة كل قناع من الأقنعة قبل الكشف عن الحقيقة لا يقلّ أهميةً؛ لذلك ليس من العدل أن يذهب الثناء كله إلى ذلك العالم المحظوظ».

وأضاف البروفسور شينيا: «إن تقنية حفز الخلايا الجذعية متعددة الأغراض مازالت في بدايتها، بيد أن إمكانية تطبيقها واستخدامها في الطب هائلة. لكن أمامنا تحدّيات كثيرة يجب التغلب عليها قبل أن نتمكن من تطبيق تلك التقنية في الطب التعويضي، واكتشاف عقاقير جديدة. وسوف أواصل جهدي بالتعاون مع زملائي، ومع العلماء الآخرين، حتى تصبح هذه التقنية مفيدة حقاً للمرضى».

ونال جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم في موضوع (الكيمياء) مناصفةً الأستاذ الدكتور جورج وايتسايدز – من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية – والأستاذ الدكتور ريتشارد زير من جامعة ستانفورد.

وقد حقّق البروفيسور وايتسايدز تطوراً عظيماً في مجال التجميع الذاتي للجزيئات، مستخدماً خواصّ سطوح الجزيئات الكبيرة، واستخدم هذه النتائج مع ما توصّل إليه في مجال الطباعة الحجرية لتطوير الطرائق العملية لعمل أشكال معقدة على السطوح لها خواصّ مهمة في مجالات مختلفة؛ مثل: الجزيئات الإلكترونية، وعلم المواد، وعلم الحياة. كما قام بربط علم النانو مع الأنظمة الحيوية؛ للاستفادة من ذلك في صناعة الأدوية، وتطوير طرائق قليلة التكلفة في التشخيص الطبي.

وشكر البروفيسور وايتسايدز مؤسسة الملك فيصل الخيرية على منحه الجائزة، وتشرّفه بنيلها، وقال: «إننا بوصفنا مجموعةً بحثيةً نذرت نفسها للتعلّم والبحث عن حلول للمشكلات العلمية نتخطّى الفواصل بين الاختراع والعلوم والهندسة والعلوم الأساسية والعلوم التطبيقية. والعمل عبر عدد من الأنشطة المختلفة يتطلب وجود عدد من ذوي المهارات والميول المختلفة، الذين يتكاملون فيما بينهم ليشكّلوا فريقاً علمياً فعالاً». وأضاف: «أهم هدف للعلوم والتقنية هو حلّ المشكلات بطريقة تؤدّي إلى تحسين أحوال الإنسان؛ فاكتساب المعرفة أمر جيّد، لكن الأفضل منه تطبيق المعرفة بنجاح من أجل حلّ المشكلات، وهو الأمر الأصعب».

ونال الأستاذ الدكتور ريتشارد زير الجائزة لتميّزه بإسهاماته الأساسية في دراسة ديناميكية الجزيئات والتفاعلات الكيميائية، وقيامه بتطوير طريقة بالغة الحساسية باستخدام تقنية للصفّ محفوزة بواسطة أشعة الليزر في مجالات كثيرة، يمتد استخدامها من الكيمياء التحليلية وعلم الأحياء الجزيئية إلى الفيزياء الكونية.

وقال ريتشارد زير في كلمته: «إن لهذا التقدير معنى خاصاً بالنسبة إليّ؛ فهو تقدير للمساهمة في فهم الطبيعة بطريقة مكّنت كثيرين من تعميق معارفهم واستكشافاتهم. فمن خلال التحولات الأساسية لتكوين الروابط وتفكيكها في الجزيئات إلى الكشف عن المواد الكيميائية وقياسها في بيئات دقيقة ظللتُ أسعى إلى اكتشاف أسرار الطبيعة الساحرة وفهمها، وقد استغرقت جهودي عقوداً من حياتي اليومية». ومضى قائلاً: «إن الإبداع، علمياً كان أم فنياً، هو عمل فردي وجماعي في آنٍ واحد. فمن الناحية الفردية، يجد الفنان متعة شخصية فيما أبدع. لكن كما أن عمل الفنان قد يكتسب معنى جديداً في حسّ المشاهد – لم يكن الفنان نفسه ليدركه – فإن الإضاءة العلمية لأحد المفاهيم الأساسية في الطبيعة قد تمتد إلى رؤى أخرى غير متوقعة لدى علماء آخرين؛ مما يفتح طاقةً نحو آفاق جديدة».



تتبُّع كلمة (النفس) في القرآن الكريم

خاشع حقي العلواني
القامشلي – سورية

أولاً: النفس لغةً[1]

هي الروح، قال تعالى:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧، ٢٨). قال ابن سيده: بينهما فرق. وقال ابن إسحاق: النفس في كلام العرب تجري على ضربين: أحدهما قولك: خرجت نفس فلان؛ أي: روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا؛ أي: في روعه. والضرب الآخر: فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول: قتل فلان نفسه، وأهلك نفسه؛ أي: أوقع الهلاك بذاته، والجمع: أنفس، ونفوس. وقال ابن خالويه: النفس: الروح، والنفس: الدم. وقال ابن برّي: النفس: الروح، والنفس: ما يكون به التمييز، وشاهدهما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٢). فالأولى هي التي تزول بزوال الحياة، والثانية هي التي تزول بزوال العقل. وإنما سُمِّي الدم نفساً لأن النفس تخرج بخروجه، وفي الحديث: «ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجّس الماء».

وتأتي النفس بمعنى الأخ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ (النور: ٦١). وتأتي النفس بمعنى (عند)، قال تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦)؛ أي: تعلم ما عندي، ولا أعلم ما عندك. والأجود أن النفس هنا بمعنى الغيب؛ أي: تعلم غيبي، ولا أعلم غيبك؛ بدليل بقية الآية ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

وجعل العرب النفس التي يكون بها التمييز نفسين: نفساً تأمره بالشيء، ونفساً تنهاه عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نفساً والتي تنهاه كأنها نفس أخرى.



جعل العرب النفس التي يكون بها التمييز نفسين: نفساً تأمره بالشيء، ونفساً تنهاه عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نفساً والتي تنهاه كأنها نفس أخرى

ويعبَّر بالنفس عن الإنسان، كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦)، وقوله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١٥١، والإسراء: ٣٣).

وتطلق النفس على ذات الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠)؛ أي: يحذّركم إياه.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «لكلّ إنسان نفسان: نفس العقل التي يكون بها التمييز، والأخرى نفس الروح التي بها الحياة».

قال الأنباري، وهو من علماء العربية: «من قال: إن النفس هي التي بها العقل، فإذا نام الإنسان قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلا عند الموت».

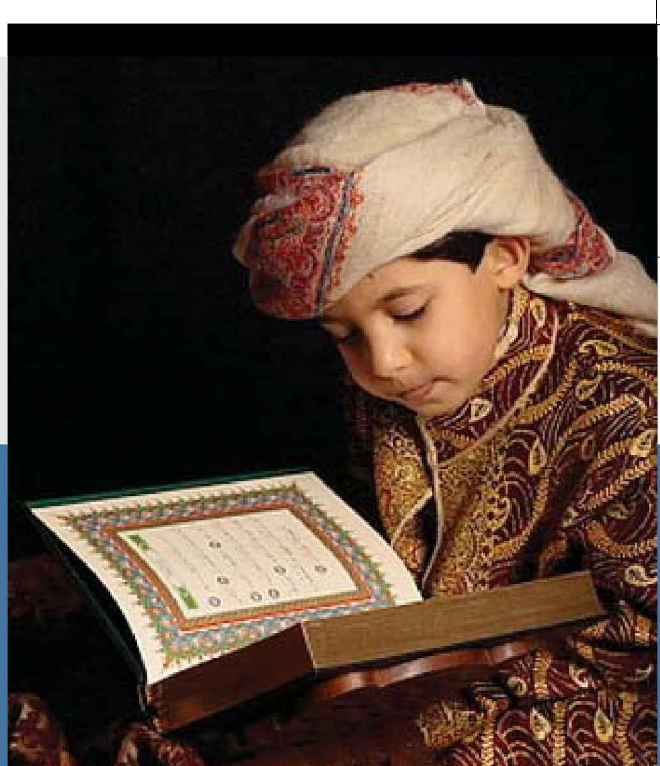
قال الزجاج: «لكلّ إنسان نفسان: نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام، فلا يعقل بها، والأخرى نفس الحياة، التي إذا زالت زال معها (النَّفَس)، والنائم يتنفّس. وهذا الفرق بين توفّي نفس النائم في النوم وتوفّي الحيّ، ونفس الحياة هي الروح».

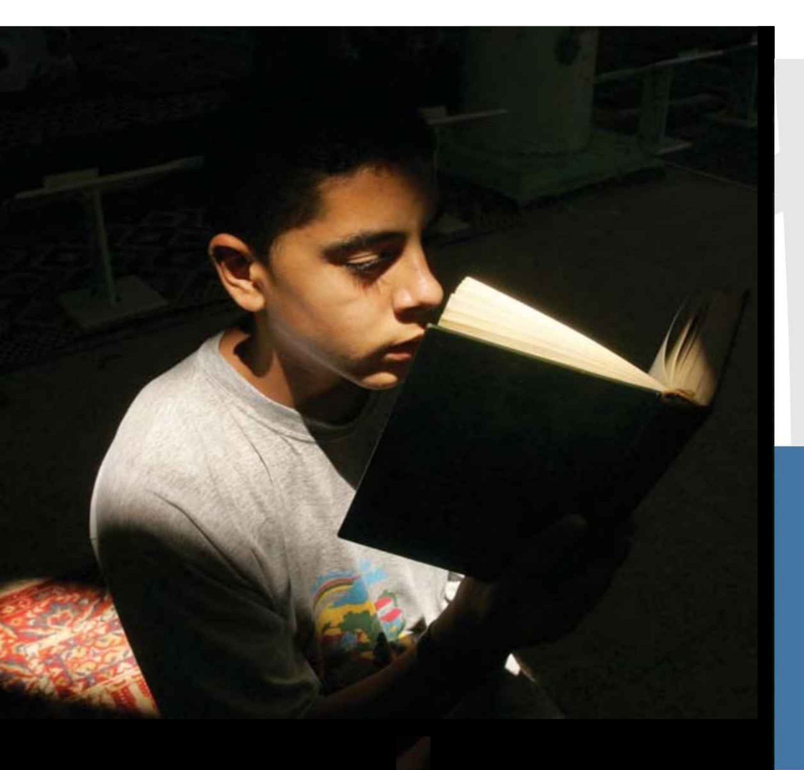
وقول الزجاج هذا يشبه قول ابن عباس السابق.

والعرب تقول: رأيت نفساً واحدة، فتؤنّث، وكذلك: رأيت نفسين، فإذا قالوا: رأيت ثلاثة أنفس، يذكّرون. وقد يجوز التذكير والتأنيث في الواحد والاثنين. قال سيبويه: وقالوا: ثلاثة أنفس، يذكّرون، النفس عندهم إنسان؛ فهم يريدون به الإنسان[٢].

قال الجوهري: النفس: الروح، يُقال: خرجت نفسه. والنفس: الدم، وفي الحديث: « ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجّس الماء إذا مات فيه».

والنفس الجسد، قال الشاعر:





نُبِّئْتُ أن بني سحيم أدخلوا   أبياتكم تامور نفس المنذر

وقولهم: ثلاثة أنفس، فيذكّرون لأنهم يريدون الإنسان. قال ابن عطية: ومَن قال: إن المرأة قالت: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ (يوسف: ٥٣)، فوجه كلامها الاعتذار عن وقوعها فيما يقع فيه البشر من الهفوات، كأنها قالت: وما هذا ببدع، ولا ذلك بنكير على البشر؛ فأبرِّئ أنا نفسي منه. والنفوس أمّارات بالسوء مائلة إليه[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ (يوسف: ٦٨) بمنزلة قوله: لم يكن في ذلك دفع قدر الله.

يقول الزبيدي - صاحب (تاج العروس) - في مادة (نفس): ومن المجاز: النفس: الدم، يُقال: مالت نفسه.

قال السموأل:

تسيل على حدّ الظُّبات نفوسنا   وليست على غير الظُّبات تسيل

والنفس: العين التي تصيب المعين، وهو مجاز، يُقال: نفسْتُهُ بنَفْس؛ أي: أصبته بعين، ورجل نافس: عائن، وهو منفوس؛ أي: معيون.

والنَّفْس: قَدْرُ دَبْغَة، قال الأصمعي: بعثت امرأة من العرب بنتاً لها إلى جارتها، فقالت لها: تقول لك أمي: أعطيني نَفْساً أو نَفْسين أَمْعَسُ به مَنِيئتي؛ فإني آفِدَة؛ أي: مستعجلة لا أتفرّغ لاتخاذ الدباغ.

وقال ابن الأعرابي: النفس: العظمة والكبر، والنفس: العزة، والنفس: الأنفة، والنفس: الغيب، وهو عندي مجازي.

وقد تحصّل من كلام المصنف - رحمه الله تعالى - خمسة عشر معنى: الروح، والدم، والجسد، والعين، والعظمة، وعين الشيء، وقَدْرُ دَبْغَة، والعزة، والهمّة، والأنفة، والغيب، والإرادة، والعقوبة، والإنسان، والأخ.

وقال ابن عرفة: إن النفس تعني أهل الإيمان والشريعة، قال تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ (النور: ١٢)؛ أي: بأهل الإيمان وأهل شريعتهم.

أقول: ومن الغريب بعد كلّ هذه المعاني للنفس أن ينفرد بعض الشيعة في تفسيرها في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) بأن (أنفسنا) هنا تعني: علي بن أبي طالب، وهي الآية المعروفة بـ(المباهلة)، وقالوا: إن الإنسان لا يدعو نفسه، وإنما يدعو غيره، وأجمعوا[٤] على أن الذي هو غيره علي بن أبي طالب، فدلّت الآية على أن نَفْسه نَفْسُ الرسول، ولا يمكن أن يكون عينها؛ فالمراد مثلُها، وذلك يقتضي العموم، إلا أنه ترك في حق النبوة الفضل العام لقيام الدليل، ودلّ الإجماع على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر الأنبياء، ويلزم أن يكون عليّ كذلك؛ أي: أفضل من جميع الأنبياء عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأجاب الرازي[٥] - رحمه الله تعالى - راداً عليهم: إن الإجماع منعقد على أن النبي أفضل ممن ليس بنبيّ، وعليّ لم يكن نبياً، فلزم القطع بأنه مخصوص في جميع الأنبياء. وقال الرازي في قولهم: الإنسان لا يدعو نفسه: إنه قول فاسد، بل يجوز للإنسان أن يدعو نفسه، تقول العرب: دعوت نفسي إلى كذا، فلم تجبني، وهذا يسمّيه أبو علي - وهو من علماء العربية - بالتجريد. وأما قولهم: وأجمعوا على أن الذي غيره عليّ، فليس بصحيح؛ بدليل الأقوال الأخرى التي سبقت في المعنى؛ كقوله: وأنفسكم؛ يعني: الإخوان، في قوله تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١١)؛ أي: إخوانكم.

قال ابن قتيبة: وقيل: أهل دينه وشريعته. قاله أبو سليمان الدمشقي، وابن عرفة. قال تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ (النور: ١٢)؛ أي: بأهل الإيمان وأهل شريعتهم[٦].

والدليل إذا تطرّق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال.

قال السهيلي في (الروض الأنف): كثرت الأقاويل في النفس

قال الفرّاء: ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها؛ فالمحسن يلوم نفسه لو كان زاد إحساناً، والمسيء يلوم نفسه لو ارعوى عن إساءته

والروح، هل هما شيء واحد، أو النفس غير الروح؟. وتعلّق قوم بظواهر من الأحاديث النبوية تدلّ على أن الروحَ النفسُ؛ كقول بلال رضي الله تعالى عنه: (أخذ بنفسك)، مع قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قبض أرواحنا»، وقوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)، والمقبوض هو الروح.

ولم يفرّقوا بين القبض والتوفي في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الزمر: ٤٢)؛ فقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هي النفس المُرسَلة، والأولى هي المقبوضة (الروح)، كما في قوله تعالى عن نبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٧)؛ أي: نوّمتني، عند جمهور العلماء القائلين بحياته عليه الصلاة والسلام وأنه لم يمت.

وألفاظ الحديث محتملة التأويل، ومجازات العرب واتساعاتها كثيرة.

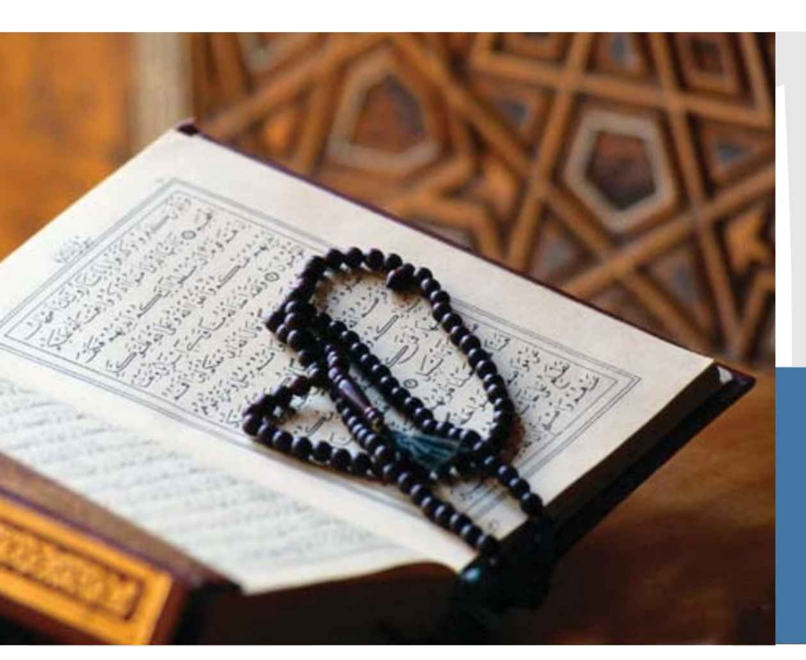
والحق أن بينهما فرقاً؛ فلو كانا اسمين بمعنى واحد (كالليث، والأسد) لصحّ وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر: ٢٩، ص: ٧٢)، ولم يقُل: من نفسي، وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ (المائدة: ١١٦)، ولم يقُل: في روحي.

وقوله تعالى:(ويقولون في أنفسهم) (الزمر:٥٦)، ولا يحسن أن يقولوا في أرواحهم. ويقول تعالى:(أن تقول نفس) ولم يقل:أن تقول روح.

ويدلّ على ذلك ما رواه ابن عبدالبر في (التمهيد): «إن الله خلق آدم، وجعل فيه نفساً وروحاً». فمن الروح عفافه، وفهمه، وحلمه، وسخاؤه، ووفاؤه، ومن النفس شهوته، وطيشه، وسفهه، وغضبه. فلا يُقال النفس هي الروح على الإطلاق حتى تقيّد، ولا يُقال في الروح هي النفس حتى تقيّد.

ثانياً: النفس عند علماء التفسير وفي أقوال الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم

جاء في تفسير ابن عطية قوله[٧]: النفس بمعنى الإنسان، قال تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ (البقرة: ٤٨، ١٢٣)؛ أي: لا تغني ولا تكافئ. ردّ الله بهذه الآية على اليهود الذين قالوا: نحن أبناء الله وأبناء أنبيائه، وسيشفع لنا آباؤنا، فأعلمهم الله أن يوم القيامة لا تجزي نفس عن نفس شيئاً. وكذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ١٣٠)؛ أي: يزهد فيها، ويربأ بنفسه عنها. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١)، المراد بالنفس شخص آدم عليه السلام، والدليل قراءة أبي عبلة: «من نفس واحدٍ».



قال السهيلي في (الروض الأنف): كثرت الأقاويل في النفس والروح، هل هما شيء واحد، أو النفس غير الروح؟. وتعلّق قوم بظواهر من الأحاديث النبوية تدلّ على أن الروحَ النفسُ

النفس المطمئنة

ذكروا ثلاثة أقوال: المؤمنة، والراضية بقضاء الله، والموقنة. قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧، ٢٨)، قال القرطبي: النفس المطمئنة: الساكنة الموقنة؛ أي: المطمئنة بثواب الله، وقيل: المخلصة. وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه: «إذا توفي المؤمن أرسل الله إليه ملكين، وأرسل معهما تحفة من الجنة، فيقولان له: اخرجي أيتها النفس المطمئنة راضيةً مرضيةً ومرضياً عنك، اخرجي إلى روح وريحان وربّ راضٍ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح مسك. ومعنى (ربك)؛ أي: صاحبك، وجسدك، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، واختاره الطبري، ودليله قراءة ابن عباس: «فادخلي في عبدي»، وقراءة ابن مسعود: «في جسد عبدي»[٨]. علماً أن الفهم السائد عند كثيرين أن (ربك) هو الله تعالى.

النفس اللوّامة

قال القرطبي: قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، ما يُرى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردتُ بكلامي؟ ما أردتُ بأكلي؟ ما أردتُ بحديثي؟ والفاجر لا يُحاسب نفسه. وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشرّ لِمَ فعلته، وعلى الخير لِمَ لا تستكثر منه[٩].

وعلى هذا تكون النفس اللوّامة هي (اللائمة). وقيل عن ابن عباس: اللوّامة: الملومة المذمومة؛ أي: صفة ذم على حدّ قول الشاعر:

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي: المطعوم المكسوّ.

وكقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٢١، القارعة: ٧)؛ أي: مرضية. وقال مقاتل: هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسّر في الآخرة على ما فرّط في جنب الله. وقال الفرّاء: ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها؛ فالمحسن يلوم نفسه لو كان زاد إحساناً، والمسيء يلوم نفسه لو ارعوى عن إساءته. ويقول الفخر الرازي: النفس اللوامة هي النفوس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعة. وعن الحسن: إن المؤمن لا تراه إلا لائماً نفسه، وأما الجاهل فإنه يكون راضياً بما هو فيه من الأحوال الخسيسة»[١٠].

وللفخر أيضاً: «اعلم أن الله تعالى ذكر مطلق النفس في القرآن فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: ٧)، وقال: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧)، وتارةً وصفها بأنها أمّارة بالسوء، فقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: ٥٣)، وتارةً بكونها لوّامةً، فقال: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)، وتارةً بكونها مطمئنةً، كما في قوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر: ٢٧). واعلم أن النفس ذاتك وحقيقتك، وهي التي تشير إليها بقولك (أنا) حين تخبر عن نفسك. وقال قوم: هي جوهر جسماني لطيف صافٍ بعيد عن مشابهة الأجرام العنصرية، نوراني سماوي مخالف بالماهية لهذه الأجسام السفلية، فإذا صارت مشابكة لهذا البدن الكثيف صار البدن حياً، وإن فارقته صار ميتاً، وهؤلاء فسّروا النفس بالروح.

المراجع

(١) وردت كلمة النفس ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢٩٦) مرة. انظر: المعجم المفهرس لفؤاد عبدالباقي.

(٢) كلّ ما تقدم في: لسان العرب، مادة (نفس).

(٣) ابن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز، ج٨، ص٢.

(٤) إجماعهم هم.

(٥) الرازي: هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب.

(٦) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

(٧) ابن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز، ج١، ص٢٨٣.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٥٧، ٥٨.

(٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص٩٢، ٩٣.

(١٠) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص١٩٠، ١٩١.



سبيل قاسم باشا التركي في المدرسة الأشرفية بالأقصى

السبيل والسلسبيل.. قراءة قاهرية وسط طرز مختلفة

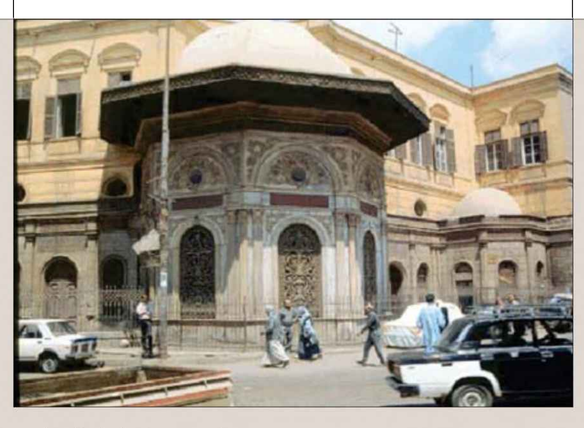
شارع واحد يمتد من ميدان السيدة زينب إلى ميدان القلعة بالقاهرة، طوله نحو كيلومتر واحد، حصرنا به ١٢ سبيلاً، فيا تُرى كم عدد الشوارع في القاهرة القديمة؟ وكم كان عدد الأسبلة فيها؟.

اختلف العلماء في الرقم، إلا أننا ميّالون إلى الأخذ برأي المستشرق الفرنسي أندريه ريمون، الذي حصرها في ٣٠٠ سبيل. تعالوا بنا نشاهد ونقرأ معه ومع الآخرين عدد الأسبلة، وماهيتها، ودورها، وعمارتها، وزخارفها، والقصص حولها.

يتطلّب التجمع البشري ثلاثة عناصر لقيامه: الأرض الخصبة، والماء العذب، والمناخ المعتدل. قديماً كان لابد من توافرها بشكل طبيعي، أما حديثاً فالأمر يمكن تصنيعه؛ فالصحراء تُزرع الآن، والمياه تقطر من مياه البحار والمحيطات، والمكيفات تقوم بدورها في تعديل المناخ.

الماء العذب هو أحد هذه العناصر، وهو إكسير الحياة والمطلب الدائم للإنسان والحيوان والنبات. وبلادنا العربية

عبدالغني محمد عبدالله
القاهرة – مصر



سبيل محمد علي باشا – النحاسين



سبيل طوسون باشا

ذات جوّ مشمس حار في أغلب الأحيان؛ لذا فإن الحاجة إلى الماء تزداد. ومن هنا، فإن الإنسان في منطقتنا تعوّد تقديم خدمات الماء إلى العامة من المارة وأبناء السبيل في شكل أسبلة تطفئ ظمأهم، وتعود عليهم بالنفع في الأغراض الأخرى.

مورد الماء كان – وما زال – ذا أهمية بالغة؛ إذ الكلّ يبحث عن الارتواء، ويزداد البحث إلحاحاً مع حرارة الجو، وكثافة السكان، وندرة المياه. ومن فضل الله – سبحانه وتعالى – أن جعله في شكله الطبيعي متاحاً للجميع من دون ثمن. والإسلام – فضلاً عن الأديان الأخرى – أوصى بسقاية الناس. ولا تقتصر أهمية الماء داخل المدن، بل تمتد إلى الطرق والصحارى والريف والحضر، للأفراد والقوافل والجيوش؛ فمن دونه الردى والهلاك.

اهتمّ القرآن بالماء، وأبرز أهميته في آيات مختلفة ومتعددة: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١)، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠). أما الشعراء، فقد تغنَّوْا بالماء، وموارده، وصفاته، وعذوبته، وعدّوا ذلك نوعاً من الفخر والتفاخر والتعالي على الآخرين؛ فهذا عمرو بن كلثوم يتغنى ويتفاخر بقومه وموقع سكناهم:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا

أما بيرم التونسي[1]؛ فلم ينسَ خلال نفيه إلى عاصمة النور باريس أن يتغنّى بماء نهر النيل وبلاده مصر:

عطشان يا صبايا عطشان يا مصريين
عطشان والنيل في بلادكم متعكّر مليان طين

ويتغنى الشاعر الشعبي المصري المجهول بالماء والسبيل:

عطشان يا صبايا دلّوني على السبيل

أما الحوادث التاريخية التي تظهر أهمية الماء في تاريخنا الإسلامي فهي متعددة؛ فمثلاً: أشار الرسول – صلى الله عليه وسلم – على جيش المسلمين في معركة بدر بتسلّم موارد الماء في آبار بدر، وعدم تمكين عدوهم منها؛ مما كان له أثر كبير في سير المعركة، وهزيمة المشركين. ومن الحوادث أيضاً إقدام خالد بن الوليد عند اجتيازه بادية الشام بجيشه قادماً من العراق على ملء بطون الجمال بالماء، وقام بنحرها واحداً تلو الآخر، واستخدام مخزون المياه في بطونها لإرواء عطش جنده؛ أي أنه استخدم الإبل مخازن متنقّلة للمياه. والأمثلة في هذا المجال ليست قليلة.

السبيل

السبيل، والجمع أسبلة: وسيلة لنيل الثواب بوصفه صدقةً جاريةً، وهو في المعاجم: الطريق، يُؤنّث ويُذكّر: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي﴾ (يوسف: ١٠٨)، ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ (الأعراف: ١٤٦). والتسبيل في سبيل الله: الجهاد، وطلب العلم، والحج، وكلّ ما أمر الله به من خير. والسابلة: هم أبناء السبيل؛ أي: الطرقات. والسَّبلة: بمعنى الشارب، والجمع: السِّبال. والسلسبيل: عين في الجنة؛ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ (الإنسان: ١٨). وأسبل الرجل الماء: أي صبّه.

الأسبلة منشآت خيرية اجتماعية أبدع المعماري المسلم في تشييدها وزخرفتها وتزيينها، وكانت تُلحق بالمدارس والمساجد

والجوامع والتكايا (جمع تكية) والوكالات؛ مثل: سبيل السلحدار في شارع المعز لدين الله الفاطمي، أو يلحق بكُتّاب؛ مثل: سبيل السلطان مصطفى في ميدان السيدة زينب بالقاهرة، وهو أفضل الأسبلة من الطراز التركي، وهو سبيل ذو واجهة مقوّسة. وهناك أسبلة استقلّت بعمارتها استقلالاً كاملاً في العصر المملوكي أو العصر العثماني؛ مثل: سبيل الأمير شيخو الذي شُيِّد عام ١٣٥٤م في باب الوداع (مماليك بحرية)، وسبيل السلطان قايتباي في منطقة الأزهر، وله سبيل آخر في شارع الصليبة (شيخون)، شُيِّدا عام ١٤٧٧م (مماليك بحرية)، وسبيل خسرو باشا في النحاسين (عثماني، وإن كانت عمارته قد تأثّرت بالطراز المملوكي).

أشار المؤرخون إلى أن بناة الأسبلة في العصر العثماني رغبوا في إنشاء مؤسسات خيرية قليلة التكاليف؛ بسبب الوضع الاقتصادي السيئ وقتذاك. لذا فالسبيل إنما هو مؤرِّخ يحكي لنا قصة عالم الإسلام، ومبدع فني يبهرنا بالرائع من فنون الإسلام.

وقد أوصى الإسلام بسقاية الناس وإرواء العطشان؛ فهو عمل من أعمال البر؛ فقد أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتقديم الماء للشرب وللأغراض المختلفة. والسبيل هو الدليل الذي يؤكّد عناية الإسلام بالإنسان، مهما كان اللون أو الجنس أو الدين؛ فهو يوفر المياه العذبة الباردة المعطرة المبخرة للشرب مجاناً، وهذا الأمر لم تحقّقه أوربا حتى في عصر النهضة أو عصر الإنشاء.

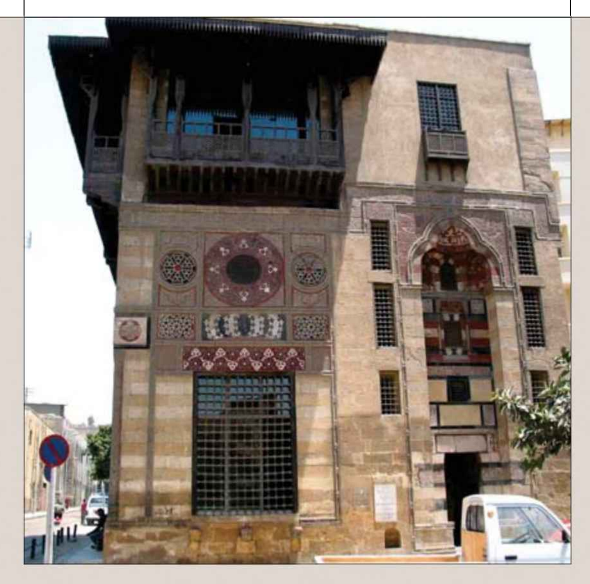
السبيل للسقاية هو عمارة قائمة بمناطق الكثافة السكانية في الأغلب، وفي الأسواق والوكالات، وعلى الطرق. وكان لهذه العمائر نماذج وطرز خاصة في العصرين المملوكي والعثماني، إلا



سبيل السلطان قايتباي



الأسبلة منشآت خيرية اجتماعية أبدع المعماري المسلم في تشييدها وزخرفتها وتزيينها، وكانت تُلحق بالمدارس والمساجد والجوامع والتكايا (جمع تكية) والوكالات



سبيل وكتّاب قايتباي

أن عمارته تأثّرت بالطرز الأوربية، خصوصاً في القرنين ١٧ و١٨، وبطرازي الباروك[٢] و الروكوكو[٣] على وجه التحديد.

والأسبلة أنواع، منها ما هو سبيل بشباك واحد، ومنها ما هو بشباكين، أو ثلاثة شبابيك. وتوجد أسبلة ذات أربعة في الأسبلة ذات العمارة العثمانية؛ مثل: سبيل محمد علي، الذي يعدّ من أفضل الأسبلة العثمانية. ومنها ما هو بخمسة شبابيك؛ مثل: سبيل أم عباس في الصليبية، وهو من أفضل الأسبلة من حيث الرخام والقيشاني والزخارف الكتابية بماء الذهب، وقد عاش السبيل عصره الذهبي في العصرين المملوكي والعثماني.

كتب كثير من المؤرخين والمستشرقين عن السبيل؛ مثل المقريزي الذي أورد في الخطط التوفيقية معلومات كثيرة عن الأسبلة. أما الفرنسي أندريه ريمون، فقد سرد لنا كثيراً من مشاهداته في كتابه (فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية)، خصوصاً عن الأسبلة. أما الإنجليزي إدوارد وليم لين، فقدم لنا كثيراً من المعلومات عن الأسبلة في كتابه (المصريون المحدثون: عاداتهم، وشمائلهم).

أماكن وجود السبيل

يوجد السبيل في كلّ بلاد الإسلام عامةً، والبلاد العربية خاصة. إلا أن أكثر حديث المؤرخين جاء عن القاهرة، ودمشق، وبيت المقدس. وجولتنا في مدينة القاهرة القديمة توضّح لنا ماهية السبيل، وأنواعه، وطرزه، وعمارته، وزخرفته، وعمّاله.

تباينت الآراء حول عدد الأسبلة في مدينة القاهرة القديمة موقع جولتنا؛ فقد حصرها محمد مصطفى نجيب في ٦٨ سبيلاً، وعلي باشا مبارك[٤] ذكر أنها ٢٠٠ سبيل أواخر القرن ١٩. أما المستشرق الفرنسي أندريه ريمون، فقد ارتفع بالعدد إلى ٣٠٠ سبيل عام ١٨٠٦م. وفي زمن الحملة الفرنسية على مصر، التي بدأت عام ١٧٩٨م، حُصرت الأسبلة في مدينة القاهرة وحدها في ٢٤٥ سبيلاً، منها ٦٠ سبيلاً في عمارة فخمة، اندثرت كلها ولم يتبقّ منها سوى ٤٥ سبيلاً أواخر القرن ١٩ كقول علي باشا مبارك.

في جولة واحدة في شارع الصليبية (شيخون) في مدينة القاهرة القديمة، الذي يمتد من ميدان السيدة زينب الشهير إلى ميدان القلعة في حي الخليفة بطول نحو كيلومتر واحد تقريباً، حصرنا ١٢ سبيلاً عمارتها ما زالت قائمة، من بينها اثنان من أفخم الأسبلة؛ أحدهما مملوكي، هو سبيل قايتباي، والثاني عثماني، وهو سبيل أم عباس. فكم يا تُرى عدد الأسبلة عندما نحصر شوارع القاهرة القديمة، ونضربها في ١٢ سبيلاً على الأقل؟!. لذا فنحن ميّالون إلى الأخذ برأي أندريه ريمون، الذي ذكر أنها ٣٠٠ سبيل.

حديث المستشرق الفرنسي أندريه ريمون عن السبيل حديث طويل؛ فقد حكى لنا في كتابه ما شاهده في أسواق القاهرة، خصوصاً ذلك الرجل حامل القربة الجلدية (أو حامل الجرة الكبيرة)، الذي ينادي في الأسواق بصوت رخيم عن بضاعته، التي هي الماء المبرّد والمبخّر المعطّر، بعبارة «يعوّض الله»، وقد عُرف هذا الشخص الذي يبيع المياه باسم «السقّا شربة»، وهو سبيل بشري متنقّل ومتحرّك يحصل على المياه العذبة مجاناً

أشار المؤرخون إلى أن بناة الأسبلة في العصر العثماني رغبوا في إنشاء مؤسسات خيرية قليلة التكاليف؛ بسبب الوضع الاقتصادي السيئ وقتذاك

من الحوض الحجري النظيف بجوار السبيل، ويبيعه إلى العامة. وليس أندريه ريمون وحده الذي تكلّم عن «السقا شربة»، بل تكلم عنه أيضاً كل من: ليو الإفريقي، وإدوارد وليم لين.

عمارة السبيل

تتكون عمارة السبيل من ثلاثة أقسام، تكوّنها ثلاثة طوابق أو أدوار، لكلّ دور عمل خاص.

- الدور تحت الأرض، وهو السريع:

وهو بأعمدة ودعائم وعقود، ولكل صهريج خرزة مثل خرزة البئر؛ أي: فتحته، وهي من الرخام أو الحجر. وكان هذا الصهريج ينظف دائماً في مواعيد محددة، ويطهّر ويبخّر استعداداً لاستقبال المياه الجديدة. وعندئذٍ يُذاب فيها مسحوق الشب لتنقيتها وتبييض لونها. وقد تعرّف كاتب هذه السطور إلى أسلوب قديم لتنقية المياه





اللوحتان التعريفيتان لسبيلي السلطان مصطفى والسلطان قايتباي

> يوجد السبيل في كلّ بلاد الإسلام عامةً، والبلاد العربية خاصة. إلا أن أكثر حديث المؤرخين جاء عن القاهرة، ودمشق، وبيت المقدس

وتبييضها مازال يُستعمل في المناطق البعيدة في الريف باستعمال مسحوق نوى المشمش ليقوم بدور الشب نفسه. ثم تعطّر المياه بعد ذلك وهي في الصهريج بماء الورد وماء الزهر برائحة الليمون واللارنج والبرتقال وأوراق النعناع. ويمتلئ الصهريج بنحو ٦٠٠ ألف قربة ماء، ينقلها السقاؤون (جمع سقّاء، ويُقال: سقّا) على الدواب والعربات من مصادر المياه المختلفة (نهر، أو نبع، أو بئر)، وأهمها نهر النيل، في عمل دائم ودؤوب.

كلّ ١٥ قربة ماء تعطي متراً واحداً، وبحسبة بسيطة فإن الصهريج يستوعب ٤٠ ألف متر مكعب من المياه ليمتلئ.

ومن المعروف أن القربة الجلدية مازالت تستخدم إلى اليوم في نقل المياه في بعض المناطق المحرومة؛ إذ يحملها السقاء تحت إبطه، أو فوق ظهره، بطريقة خاصة. وبعض السقائين يبيعون فيها المشروبات المثلجة؛ مثل: العرقسوس، والخروب، والدوم، والتمر الهندي، وغيرها.

- المزملة:

هي ثاني أقسام السبيل، وتشغل الدور فوق الأرض، وتقع فوق الصهريج؛ أي: أنها على سطح الأرض مباشرةً، أو أعلى قليلاً، بشرط أن تكون في متناول يد طالب الماء (الشارب عابر السبيل)

إذا لزم الأمر. والمزملة هي المبنى المعدّ للتسبيل؛ أي: توزيع الماء على الشاربين. وتتكون من صالة بها لوح رخامي كبير بطول ٣ أمتار تقريباً، يعرف باسم (الشاذروان)، محفور على سطحه مجارٍ عميقة في طريق واحد متّصل يلتوي وينثني حول رسوم بارزة (بُرزت بعد حفر هذه المجاري) لطيور وأسماك وأمواج ووحدات زخرفية هندسية ونباتية، وبه ميل من المقدمة إلى المؤخرة (يمرّ الماء في هذه الفجوات) حتى يصل إلى النهاية في المؤخرة. وينساب الماء ببطء خلال هذه الفجوات، ويمتصّ خلال انسيابه برودة الرخام؛ حتى يصل إلى النهاية ويصبّ في حوض معدّ لتجميع المياه الباردة، التي تُعرف عندئذ بالمياه السلسبيل. وقد أخذت هذه الصفة من القرآن الكريم: (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً) (الإنسان: ١٨). وأمام هذا اللوح الرخامي (الشاذروان) نوافذ صغيرة يقدم من خلالها الماء لطلابه، وهذه النوافذ أمامها كوابيل

المزملاتي هو أهم العاملين في السبيل، ويكلّف نقل المياه إلى السبيل بواسطة عمّاله (السقائين)، وهو مسؤول عن تسبيل المياه (أي: توزيعها) على الشاربين



سبيل إبراهيم بك المانسترلي

(المفرد كابولي) رخامية أو حجرية بواسطة أسطال نحاسية مربوطة في النوافذ بسلاسل من النحاس.

- الكُتّاب (بضم الكاف وتشديد التاء مع فتحها):

وهو ثالث أقسام السبيل، ويشغل في الأغلب الدور العلوي، الذي هو الثاني فوق الأرضي، مع عدم نسيان أن الصهريج موجود تحت الأرض. وفي الكُتّاب يتعلّم التلاميذ القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن الكريم. وقامت بعض الأسبلة بتعليم المواد الحديثة؛ مثل: الرياضيات، والعلوم، واللغات. فقد كانت هذه المواد الحديثة تقدّم إلى الطلاب في سبيل إبراهيم باشا ذي الواجهة شبه المستديرة من الرخام الأبيض، وعليها زخارف مذهبة ومحفورة في الرخام، الذي تأثّرت عمارته بالفنون الأوربية.

ملحقات السبيل

- الأحواض الخارجية

– الحوض الأول: مبنيّ من الحجر، ومزيّن بالزخارف، ومخصّص لسقاية الدواب. ونلاحظ في هذا العصر كثرة دوابّ الحمل، ودوابّ تستخدم لجرّ العربات، وغير ذلك من الحيوانات الأليفة؛ كالقطط، والكلاب.

– الحوض الثاني: يحصل منه السقاؤون وعامة الناس والنسوة والسقا شربة على حاجتهم من الماء لزوم استخدام بيوت العامة والمحلات والبيع في الأسواق من دون مقابل.

– الواجهات: لكلّ سبيل أكثر من واجهة تطلّ على الشارع العام والشوارع الجانبية؛ مما يسمح بمرور الهواء لتبريد المياه. وتُحدّد أوقات الظهيرة والعصر والحرّ الشديد لعمل الأسبلة، وتوزيع المياه على الشاربين. وكانت الواجهات في العصر المملوكي مربعةً، واشتهرت في العصر العثماني بالشكل نصف الدائري.

- إدارة العمل

أدار العمل في السبيل عدد من الموظفين، كلّ حسب تخصّصه:

- المزملاتي:

وهو أهم العاملين في السبيل، ويكلّف نقل المياه إلى السبيل بواسطة عمّاله (السقائين)، وهو مسؤول عن تسبيل المياه (أي: توزيعها) على الشاربين. وقد اشترط أصحاب الأوقاف المخصّصة للصرف على الأسبلة عدة شروط في المزملاتي؛ منها:

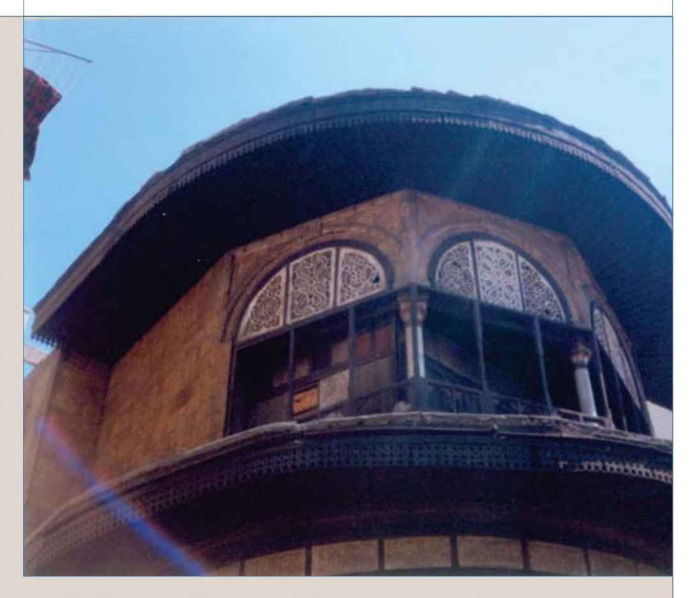
أن يكون ذا ثقة وأمانة ومروءة، سليم البدن، جيد الصحة، نظيف الثياب، خالياً من الأمراض، خصوصاً الجلدية، وأن يعامل الناس بالحسنى، ويسهل لهم الشرب. كما أنه مسؤول عن تنظيف السبيل والشاذروان والأسطال، ويهتم بأدوات النظافة؛ مثل: مكانس الخوص (من سعف النخيل)، والليف، والفوط (جمع فوطة)، والكتان، والقلل، والأزيار الفخارية (المفرد قلة وزير على الترتيب).

- العرّيف:

يعلّم الصبية في الكتّاب. وقد حدّدت الوثائق في كلّ سبيل أجر العرّيف، ورتّبت كسوةً لكل تلميذ في الصيف، ومثلها في الشتاء والأعياد، ومبلغاً من المال في المواسم، ومكافأة لكلّ تلميذ يتمّ حفظ القرآن الكريم.

- المحتسب:

هو عين الدولة على الأسبلة؛ إذ يدفع موظفيه إلى الإشراف عليها، وعلى نظافتها، وعلى عمالها، ومعاقبة كل مخالف، والتأكد من خلو العمال من الأمراض والعاهات، خصوصاً الجلدية منها. وعليه التأكد من السقائين، وأنهم أيضاً بصحة جيدة، وأصحاب قرب نظيفة، ومبادرون دائماً إلى ملء الصهريج بالماء أولاً بأول.



سبيل البريدي



توقّف بناء الأسبلة في مدينة القاهرة الحديثة، وتوقفت الأسبلة القديمة عن العمل؛ بسبب توزيع المياه بواسطة الأنابيب، وانتشار المبرّدات، وأساليب معالجة المياه. إلا أننا نجد على الطرق بين المدن والقرى وفي الصحارى بعض الأسبلة البسيطة تحت مظلات بسيطة أيضاً، وهي تقوم بدور عظيم في إرواء ظمأ هؤلاء المسافرين البسطاء، الذين لا يحملون معهم المياه التي تعينهم على اجتياز الطرق والمسافات. وكانت للأسبلة أوقاف يُصرف عليها من ريعها لتستمر في العمل وتبقى. وإذا كان النظام المملوكي في الأسبلة قد بدأ في عصر المماليك إلا أنه استمر حتى العصر العثماني وبداية حكم محمد علي الكبير في مصر. والنموذج العثماني الأول في مصر هو سبيل أم عباس، الذي يعدّ درّة الأسبلة، وأجملها، وأروعها بناءً وتصميماً ونقوشاً. وقد بُني في القاهرة ٣ أسبلة قبل القرن الـ١٧، ثم ٣٣ سبيلاً في القرن الـ١٧، ثم بني ٣٣ سبيلاً أخرى في القرن ١٨ وفق إحصاء المؤرخين، وهي على أيّ حال أرقام متضاربة متعارضة، لكننا نخرج منها بأن عمارة السبيل قد شغلت المعماري المسلم خلال العصرين المملوكي والعثماني بشكل كبير.

الأدوات المستخدمة

كانت الأدوات كلها أدوات بسيطة تؤدي الدور الذي صُنعت من أجله، وهي:

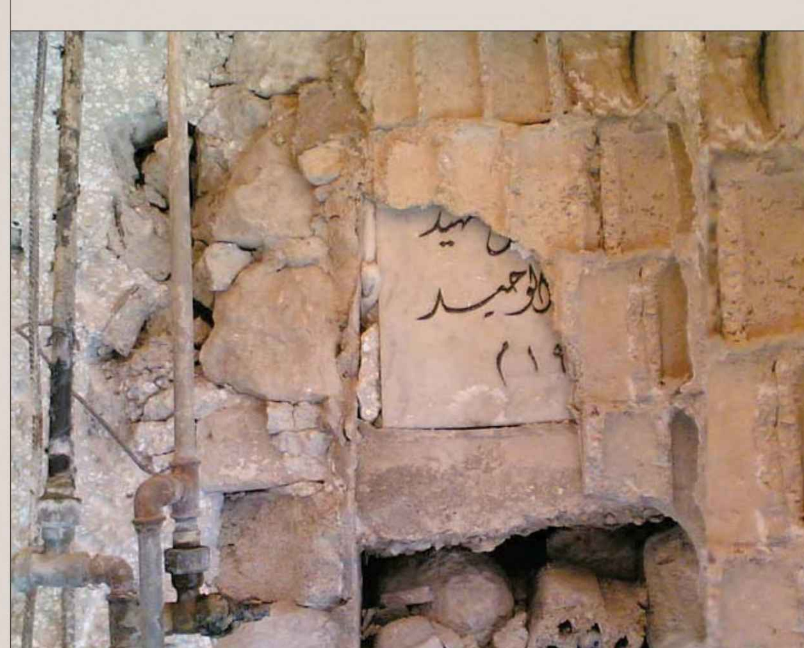
- القِرْبَة:

بكسر القاف، وسكون الراء، وفتح الباء، والجمع قِرَب، وتُصنع من الجلد، ويُنقل فيها الماء، وتُحمل على الظهر أو الكتف أو تحت الإبط. أما ما يملأ بها الصهريج فتنقل على الدواب أو العربات لكثرتها.

- السطل:

والجمع أسطال، ويُقال له عند العامة: كوز، والجمع كيزان، وهو إناء صغير على شكل كوب، ويصنع من النحاس أو الفخار، وأحياناً من نصف قشرة جوز هند مفرغة بطريقة خاصة، وإن كان ذلك لم يَرِدْ عند الكتاب أو المؤرخين، لكنها مازالت موجودة حتى الآن. ويستخدم الكوز في تقديم الماء إلى الشاربين. وتكون الكيزان مشدودة بسلاسل من النحاس إلى نوافذ السبيل؛ حتى لا تبتعد كثيراً من شباك التسبيل، ومنعاً لفقدها، أو خوفاً من سرقتها.

سبيل الحسين



الهوامش والمراجع

(١) بيرم التونسي: شاعر شعبي مصري مبدع من أصل تونسي. كان شعره يصبّ على تحريض الشعب المصري ضد الاحتلال الإنجليزي، فنفته السلطات (تحت الاحتلال) إلى فرنسا. عاش مدةً في ميناء مرسيليا الفرنسي، وجلس كثيراً على مقاهي باريس؛ ليعيش في غربة فرضتها عليه السلطة؛ لأنه أدان الاستعمار بكل أشكاله. وكان ذا عبقرية تجلّى بها الله عليه في الشعر.

(٢) الباروك: طراز فني ساد في أوربا في المدة من ١٦٠٠- ١٧٥٠م. وجاء المصدر الأصلي للكلمة من شبه جزيرة أيبيريا مشتقةً من اللفظ البرتغالي باروكو Barruco، وهي اللؤلؤة المعوجة أو اللؤلؤة المشوّهة غير المنتظمة الاستدارة؛ إشارةً إلى ما يتّسم به هذا النمط الفني من عدم انتظام الأشكال، وافتعال الفخامة والعظمة، والجنوح إلى التكوين المسرحي، والتعبير عن الفنون المخالفة للتقاليد السائدة المناهضة لمفهوم الفن الكلاسيكي، والدلالة على الموضوعات الخطابية الدعائية؛ فهو ليس جمالياً بحتاً، بل ينطوي على أبعاد دينية وسياسية تؤيد السلطة الأرستقراطية. وأعظم من ينتمون إلى عصر الباروك من الفنانين هو الفنان فرانشيسكو زوراباران Francixo Zurabarn. ونشأ هذا الفن في روما في القرن ١٦ معبّراً عن الروح التي ظهرت ردّ فعل لحركة الإصلاح الديني (البروتستانتية). وقد تحرّر هذا الفن من سيطرة الكنيسة، خصوصاً في القصور والكنائس.

(٣) الروكوكو Rococo: طراز من البناء والتزويق، فيه تزيينات مُبالَغ فيها تتضمن أشكالاً لأوراق وأصداف ودروج وغيرها. وقد ظهرت في القرن ١٨ في أواخر حكم لويس الرابع عشر بوادر طراز جديد في أعقاب عصر النهضة يختلف عن طراز الباروك. ويرجع إلى أسلوب المصور واتو، وسُمِّي باسم الروكوكو، وازدهر في ألمانيا وفرنسا خاصةً، قبل أن يختفي من فرنسا بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. ولفظة روكوكو مستمدة من كلمة الصدفة Rocaille غير المنتظمة الشكل ذات الخطوط المنحنية التي ساعدت على تشكيل الزخارف الشائعة في ذلك العصر. ومن أشهر فناني هذا الطراز: فراجونار، وشارمان، وجريز، وبوشيه.

(٤) علي باشا مبارك: أحد أركان النهضة العلمية والعمرانية في مصر. له الفضل في تأسيس المطبعة العربية، وبناء القناطر الخيرية، والخطوط الحديدية، ودار العلوم، والكتبخانة الخديوية، ومن مؤلفاته: الخطط التوفيقية الجديدة (١٨٢٣- ١٨٩٣م).

- أندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية.
- إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون: عاداتهم، وشمائلهم.
- علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية.
- نعمت إسماعيل علام، فنون الغرب في العصور الوسطى.
- جوستاف لوبون، حضارة العرب.



خيرية إبراهيم السقاف
الرياض – السعودية

راعـــي الشيـط

ولد الجيران البذيء ينطّ كالقرود بين الكراسي التي اصطفّت عن اليمين واليسار في الحارة عند مخارج أبواب البيوت، وعلتها الأنوار، والنساء يطللن من النوافذ العلية، كلّ منهن تعوّذ ابنها من شرّ ذلك اليوم.

وأنا أرقب حركة الحزن في وجه أبي، فلا أجدها تستقرّ فيه؛ إذ هو حين يتقدم المعزّون ويقتربون منه تتحرّك فيه مسحة الصمت والانكسار، وتلوح دموع لا أدري من أين فتحت مزاريبها في عينيه، غير أنه بعد أن يبتعدوا منه، وقد ألقوا إليه جُمل العزاء التي يبدو أنهم ردّدوها كثيراً كي تلتصق بألسنتهم، فيكررونها كلما مرّوا بأحد ساكني الشارع الجالسين في الصفوف دون عناء، تعود إلى وجه أبي بوادر راحة وبعض ابتسامة، وهو يسرّ إلى جاره الجالس بجواره بأمر ما. لكن ولد الجيران الذي ينطط بين المقاعد وحده كان يجمع كلامهم، ويلضم منه قصصاً، يصعد بها سريعاً إلى الأعالي، فيخبر بها النساء، ثم يتوقف عند سامية، التي لم يكن يعنيها من قصصه إلا ما كان عن راعي (الشِّيط)، الذي هو شاب، كثيراً ما كانا يلعبان معاً في الشارع قبل أن يكبرا، فيمنعها أبوها عن النزول إلى الشارع، والحديث معه، بل منعها بشدة عن زيارة أهله وإن كانت الزيارة مع أمها؛ فتلميح أبيه برغبته في خطبتها له كافٍ في عرف أبيها لإقامة هذه الحواجز.

مرّت تلك الساعات من بعد عصر يوم وفاة فرّان الحارة ودفنه إلى ما بعد صلاة العشاء ثقيلة على سامية جداً؛ فالصبيّ لم يأتها بخبر عن راعي (الشِّيط). قلقت؛ فأبوه عمّ علي الفران الذي توفي بالأمس، ودُفن بعد صلاة اليوم. لم يكن قريباً منه – في علمها – حتى يختفي حزناً عليه، ثم إن عزاء الحارة جميعها انتصب أمام بيتها، وجميع النوافذ تطلّ على الشارع من بدايته حتى نهايته، وهو لم يظهر طوال ساعات العزاء، ولا بعد الوفاة. أخذ اثنان من الجمع يرصّون الكراسي بعضها فوق بعض، وأنا أرقب المشهد.. بعد أن ذهب من ذهب دلف أبوها وإخوتها وأنا وأبي إلى البيت. بالتأكيد لن تتمكّن من الوقوف بعد ذلك في النافذة؛ لعلها ترى راعي الشيط في إقباله أو مروره.

دقائق من الساعة وكان الشارع هادئاً، لم يرسل إلى سمعها سوى بعض كلمات بذيئة يدافع بها ذلك الصبيّ عن نفسه وأبوه يجرّه إلى داخل بيتهم المجاور القريب.. ردّت السلام على أبيها الذي انتصب محدقاً عينيه في عينيها، موجّهاً إليها سؤاله بحدة:

هل كنت خلف النافذة؟. ويزيد: لقد لمحتك..

تلعثمت وهي تجيب: لا، لقد كنت نائمة..

مضى أبوها نحواً بعيداً إلى الطابق الأعلى مع أبي، الذي حضر معي من المدينة المجاورة للعزاء، وهي تعلم أن ما قالته لم ينطلِ عليه..

سرعان ما هرولت راكضةً نحو النافذة، فصوت من تنتظر في سمعها أخذ مع الهواء يردّد بسرعة، وبنَفَس واحد كما كانا يتسابقان في الصغر، تلك العبارات ذات الكلمات المتطابقة حروفها الأخيرة: «يا راعي الشيط والشمليط، والمقصات



والملاقيط».. سرعان ما أخذ صوته في الوهن والتقطيع: «عطني شيطك وشمليطك، ومقصاتك وملاقيطك».. ويزداد وهناً وخفوتاً: «لين يجي شيطي وشمليطي، ومقصاتي وملاقيطي».. وينزوي به الشارع في انحداره جنوباً، وصدى صوته صغيراً وكبيراً عند نافذتها يُتمّ العبارات من ذاكرتها: «أرد لك شيطك وشمليطك، ومقصاتك وملاقيطك».

ركضتُ أنا خارج البيت مع تراكض دموعها في انهمار، وهي تلاحقه بنظراتها.. كان يضع طرف ثوبه في فمه، يكتم به أنفاسه.. ويذهب مختفياً في ظلام الطريق نحو عمق الحارة بقدمين تتأرجحان بحزنه..

«بلى، احترق بموت أبيه».. هكذا حدثتني ملامحها المنعكسة في عيني من ضوءٍ يتيم كنت قد تركته بجوار نافذتها قبل أن أطفئ خيط المصابيح الطويل.. أيقنت أنها ليست لي... عُدتُ إلى البيت، حملت أمتعتي، لم أودّع خالي أبيها الذي ربّانا معاً، وتركت أبي.



الطفل والبائع المتجوِّل

أندريه شديد(*)

ترجمة: عاطف محمد عبدالمجيد

الجيزة - مصر

قصة

وحشراتك.. هيا اخرجوا من هنا بأقصى سرعة.
- حشرات؟!.. ليس لديّ منها شيء مطلقاً.. انظر. اقترب.. حرّك شعره الأسود الكثّ داساً يده الوحيدة في كتلة الشعر المجعّدة.
- قل لي: هل وجدت قملةً واحدةً في هذا المكان؟
- اخرس، وإلا استدعيت لك رجال البوليس!.
- رجال البوليس؟! لمَ رجال البوليس؟!
كان الطفل يمكث منتصباً في وضع جريء وهادئ. وبنظرة واحدة قدّر حجم الشخص الذي واجهه. وراء شتائمه وهيجانه بدا له الرجل هشاً، سريع التأثر، بل رحيماً.
بسبب كلّ ما عاشه في مهنته التي تأكّلت كان عمر جو[١] يمتلك خبرةً على الرغم من حداثة سنه، كان لديه إدراك حسي صائب، ورأي في الحياة وتقلّبها الذي أعاده بصيراً في الوقت نفسه وحليماً.
- لمَ (اخرسْ)؟ لمَ (رجال البوليس)؟ ولمَ تحدثني بمثل هذه الكلمات؟
يمكننا أن نتصالح.. أن نتفاهم.. أنت وأنا.
- نتصالح؟ كيف تريد أن نتصالح؟
دائماً كان ماكزيم يتفحّص الصبيّ على عتبات العربة، محاولاً - مع ذلك - أن يتحاشى عينيه اللتين كانتا تختلسان النظر إلى الأقارب. في ذهنه ضمّه إلى الفتيان الذين ينحرفون من سنّ ستّ سنين حتى سن الرابعة عشرة، الذين يندسّون في عربات المترو وفي المحلات الكبيرة. وكذلك ضمّه إلى هؤلاء اللصوص البارعين في عمليات النصب المؤذية جداً للآخرين.
«من بذرة الجناة!» ستُغاث الأسرة.
إذا كان هذا الصبي الأفّاق قد فقد إحدى ذراعيه فليس هذا مسوّغاً لتبرئته من كلّ شيء!
الله وحده يعلم في أيّ مشاجرة، وفي أيّ مغامرة قد وقع الحادث.
- حذائي! أريد حذائي.. طالب الطفل بصوت وديع.
تسلّق ماكزيم سطح العربة التي كان بابها لا يزال مفتوحاً. لمح سلّتين اعتُني برصّهما أسفل أحد مقاعدها. لحظة أن



أندريه شديد

«ماكزيم مالك عربة. أحواله ليست كما ينبغي. ذات صباح، وهو يرفع غطاء عربته، اكتشف طفلاً نائماً فيها. انتزعه من على المقعد، وقذف به فوق سطح العربة قبل أن يتبيّن أنه مبتور الذراع».
- أصغ إليّ.. ردّدها البائع المتجوّل باذلاً جهداً في العثور مرةً أخرى على هدوئه بعد أن اكتشف وجود الطفل ذي الذراع المبتورة.
بقدميك الحافيتين هاتين، وبجيبك صفر اليدين، لن أدعك أبداً تصعد إلى عربتي، لا ليلاً ولا نهاراً.
- حذائي في عربتك.. أجاب الطفل مسرعاً بحدة.. عليّ أن أسترده.
كان منه الكثير!
- تتخلص مني.. تريد أن تقول! وأنت.. مع! أنت

أمسك بهما تراجع متقزّزاً، وراح يصيح:

- تعال! ابحث عنه بنفسك.. حذائك القذر!.

كانت استجابة الطفل سريعة. بوثبة واحدة هبط على سطح العربة على بعد خطوتين من البائع المتجوّل.

هذه المرة ما لاحظه على وجنته اليمنى كان مربعاً من الجلد المرتّق يعلو تجويفاً. كان الخدّ - بلا شكّ - قد تعرّض لنفاذ شفرةٍ ما. هذه البينة أيّدت ظنونه: لا بد أن هذا الصبي ينتمي إلى عصابة خطيرة من السوقيين. تضاعفت ريبة ماكزيم.

طوال هذا الوقت كان الطفل يثقب سلّتيه عاقداً الأربطة، مراقباً عيني محدّثه دائماً.

- ليس لديّ نقود، لكنني أريد أن أدفع لك ثمن ليلتي التي قضيتها في عربتك.

- تدفع لي؟ كيف هذا؟

- انتفع بي.. لن تندم.

- أنتفع بك؟ ما فائدتك بذراع وحيدة؟

بلا قلق ردّ الطفل ثانيةً:

سأنظّف لك عربتك.. سأجعلها تبرق.. سأصنع منها جوهرةً حقيقيةً!.

انتظر لحظات قبل أن يضيف:

- أقدّم لك خدماتي كلها دونما مقابل!.

شاعراً أنه يضع يده على نقطة حساسة راح يتابع:

- أنت تسمعني: دونما مقاااابل!.

ألقى ماكزيم نظرةً في اتجاه الكابينة الخشبية التي تحتوي على درج الصندوق الذي يترك فيه دائماً مبلغاً صغيراً من النقود.. أيكون الولد المشاغب قد كسر القفل؟!

توجّه إلى الدرج من دون أن يبدو عليه أيّ شيء.. حرّك المقبض عدة مرات.. بدا كلّ شيء كما هو.. كل شيء سليم معافًى.

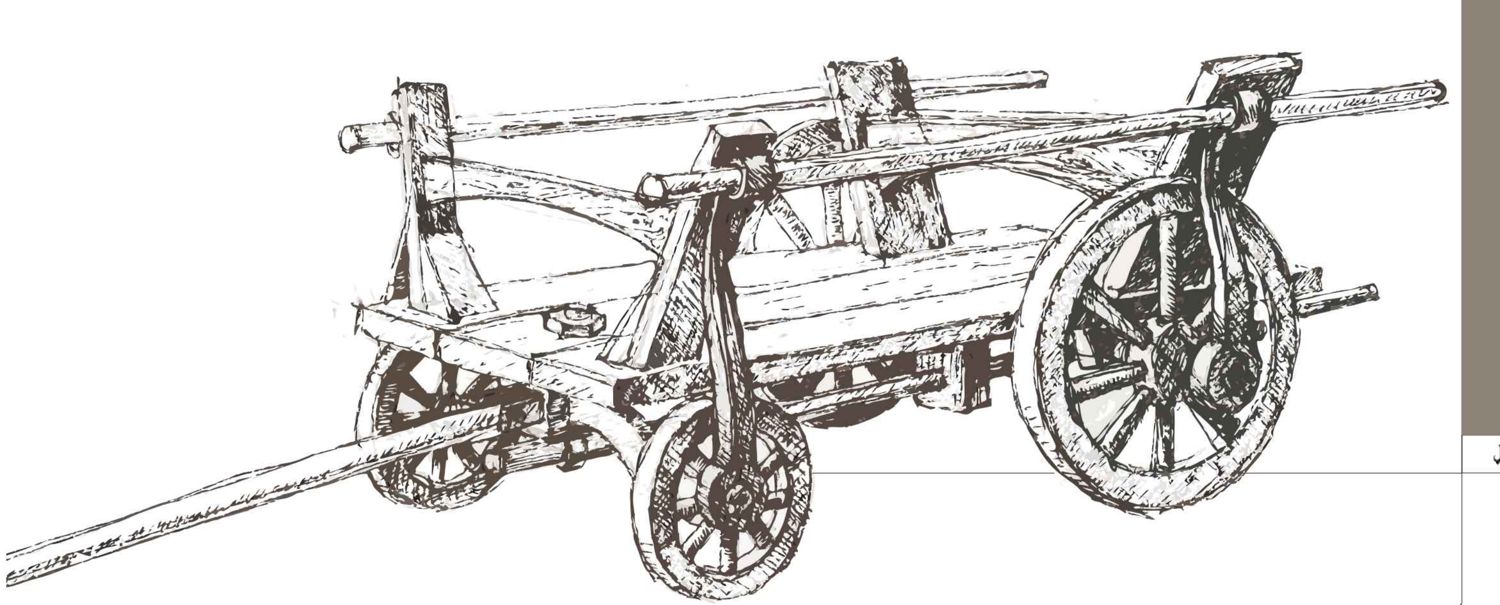
جلس الطفل الذي أدرك معنى ما يدور حوله على ساقيه، وبحركة واحدة قلب جيوب بنطاله الكاكي الذي يصل حتى ركبتيه.. انسكب ما فيها حتى قدمي البائع المتجوّل: لبان، ومسمار، وقلم حبر، وثلاثة أقلام تلوين، ودفتر صغير، ومطواة، وعملة نحاسية، ومنديل مكوّر، وأربع بليات زجاجية.

- لم آخذ منك أيّ شيء.. أنا لست لصاً.

- كفى، كفى.. ردّد ماكزيم بنبرة ضيق.. تناول كل هذه الأشياء.. هيا انصرف.

طأطأ الطفل رأسه، والتقط قطع النقود الصغيرة أولاً، ثم أشار بها إليه:

- هذه النقود ليست من هنا.. إنها من عندي.. لم تعد تساوي شيئاً.. هي فقط تذكار.



- حسناً.. حسناً. تمتم البائع المتجوّل ملقياً نظرةً عابرةً على هذه العملة الغريبة التي لم يتبيّن أصلها.
تناول الصبي ما تبقى منها، ثم البليات العقيقية الأربع، واضعاً إياها فوق راحة يده المفتوحة:
- اختر منها واحدةً لك.
- ماذا سأفعل بها؟
هيّا صُفّ هذه.
ألم تلعب بلياً قطّ؟
- بلى.. بلى.
- إذاً، افعل مثلما أفعل.. احتفظ بها تذكاراً.
بين السبابة والإبهام أمسك ماكزيم - بكل حيطة - أزهى بلية من بين الأربع. لقد ذكّرته بأقدم بلية كان دائماً يكسب بها (...).
- آنئذ، سأل عمر جو: ماذا عن اقتراحي؟
دائماً تكتظّ الذاكرة بذكريات البلي الخاصّ به. وضع البائع المتجوّل في جيبه البلية ذات الوسط الحلزوني، التي كان لا يزال يمسك بها بين أصابعه:
- أيّ اقتراح تقصد؟
- أن تجعلني أعمل على عربتك.
متجنباً الإجابة عن هذا السؤال كان ماكزيم يبحث عن معلومات أكثر عن هذا الولد الغريب المشاغب. أشار بإصبعه إلى الجزء المتبقي من ذراعه التي بترت، ثم إلى التجويف الذي يعلو خده:
- ما الذي فعل بك هذا؟
- حادث.. رد الطفل راغباً بعض الشيء في البوح.
- أتنتمي إلى عصابة ما؟
- هناك أيضاً توجد عصابات متنقلة، وخطيرة، ومدجّجة بالأسلحة. إنها جماعات لم يتمكّن رجال البوليس من القبض عليها.. لقد استحالت السيطرة عليها.
- أنا لا أنتمي إلى شيء.
كانت لديه طريقة في رفع رأسه من دون تكبّر، لكن كأنه يحدّد منطقته، أو يعيّن حدها الذي لا يجتازه أحد.
- لو قبلت عملك معي فلابد مع ذلك أن أعرف من أين أنت؟
- أنا لم أسألك من أين تكون.. ردّ الطفل.
تفرّس في وجه محدّثه مركزاً - ككلّ مرة - في عينيه، مدقّقاً في قاعيهما، ثم أضاف:
- رجل يحبّ عربته، لا أحتاج إلى معرفة من أين هو.. هو من أسرتي.
- من أسرتك؟ أين ستبحث عنها؟
- ليست الأسرة التي أنتسب إليها، بل الأخرى. أحياناً تصبح لها أهمية كبرى؛ إذ نحن من يختارها.
- أتريد أن تقول إنك اخترتني؟
- نعم، أنا اخترتك الآن!.
- يجب أن يكون هذا الاختيار متبادلاً، ألم تفكّر في هذا؟
- هذا ما سيحدث.
كانت اللحظات الأخيرة كئيبةً ومحبطةً جداً.
فجأةً، سُرَّ البائع المتجوّل بهذا التبادل المثير. انحنى، وحيّا الولد المندهش بدعابة:
كلّ الثناء على اختيارك. بصدق، بصدق شديد، أشكرك أيها الشاب!.

الهوامش

(*) أندريه شديد: أديبة فرنسية وُلدت في القاهرة في ٢٠ مارس عام ١٩٢٠م، وعاشت ودرست حتى المرحلة الجامعية فيها، ثم رحلت إلى لبنان، ومنها إلى باريس حيث استقرت هناك. كتبت الشعر والقصة والرواية والمسرح. ومن أعمالها: النوم المنقذ (١٩٥٢م)، واليوم السادس (١٩٦٠م)، والمدينة الخصيبة (١٩٧٢م)، والجسد والزمن (١٩٧٩م)، والطفل المتعدّد (١٩٨٩م)، وهي التي أخذت منها هذه القصة.

(١) عمر كأبيه، وجو كجده جوزيف.



ندوة لمركز الملك فيصل تؤكّد:

العلاقات العربية الإفريقية روحية قبل أن تكون سياسية

حسين حسن حسين

التحرير

ألقت ندوة عقدها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٨ مارس عام ٢٠١١م بعنوان (العلاقات العربية الإفريقية: الواقع وآفاق المستقبل) الأضواء على العمق التاريخي لهذه العلاقات، وألقت تساؤلات حول مسار هذه العلاقة حاضراً ومستقبلاً، وطرح المتحدثون بصراحةٍ بعض ما يعوق هذه العلاقة، التي تشوبها الشوائب لرؤى قاصرة هنا وهناك.

شهد الندوة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مجلس إدارة المركز - وعدد كبير من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي في المملكة، ونخبة من الخبراء والمختصين والمهتمين. وتحدث في الندوة كلٌّ من: الأستاذ الدكتور حسن مكي - مدير جامعة إفريقية العالمية في السودان - والدكتور صالح أبو بكر علي - عميد كلية الحقوق في جامعة آدم بركة في تشاد - والدكتور عبدالرحمن كان - من السنغال - والدكتور الخضر عبدالباقي - عضو هيئة التدريس في جامعة الملك سعود من نيجيريا - وأدار الندوة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن راشد العبيدي.

علاقات روحية

تناول أول المتحدثين الدكتور حسن مكي عمق العلاقات التاريخية بين المجتمعات العربية والإفريقية، وقال: إن إفريقية أول مكان وصل إليه الإسلام بعد مكة المكرمة، حين استقبل النجاشي المهاجرين، وأحسن وفادتهم، وقد أثنى الرسول الكريم على الحبشة وبعض شعوبها. ولم تكن تلك الهجرة يوماً أو سنة، وإنما امتدت ١٤ عاماً. وتميّز انتشار الإسلام في إفريقية بالسهولة والسرعة والحماسة، حتى أصبح اليوم ٦٥٪ من العرب أفارقة. كما أن السيدة هاجر جاءت من قلب إفريقية؛ مما يوجد بين العرب والأفارقة صلة روحية. وكان للملك فيصل - رحمه الله - في العصر الحديث دور في إحياء هذه الصلة، وتحقيق تضامن الشعوب الإفريقية مع القضايا العربية، ومقاطعة أغلب الدول الإفريقية إسرائيل، وقطع العلاقات معها. وتشهد هذه العلاقات مزيداً من التطور على المستوى الثقافي والاجتماعي على الرغم من تراجع العلاقات السياسية أحياناً.

وأشار مكي في هذا الصدد إلى أن بلداً مثل الصومال تعطّلت فيها الدولة الرسمية منذ سنوات، لكن البعد الثقافي العربي يتجذّر حتى صارت اللغة العربية هي اللغة الأولى في الصومال بعد أن كان الصوماليون يتحدثون أربع لغات. وذكر أن القرن الإفريقي حافل بالثقافة العربية الإسلامية؛ ففي إثيوبيا افتتحت جامعة أديس أبابا قسماً للغة العربية، وهناك أربعة أقاليم تتكون حكوماتها من وزراء مسلمين، منها: إقليم العفر، وإقليم بني شنقول، وإقليم الأرومو.

وأوضح الدكتور مكي أن من مظاهر تقدّم العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة أن جمهورية تشاد جعلت في دستورها اللغة العربية لغةً رسميةً للدولة، وطالب برلمانها بالانضمام إلى جامعة الدول العربية.

> د. حسن مكي: إفريقية أول مكان وصل إليه الإسلام بعد مكة المكرمة، ولم تكن هجرة المسلمين إليها يوماً أو سنة، وإنما امتدت ١٤ عاماً

أثر المتغيرات السياسية

وتناول د. صالح أبو بكر علي أثر المتغيرات السياسية في العلاقات العربية الإفريقية، ذاكراً أنه «انطلاقاً من كون الدول العربية والإفريقية تمثّل جزءاً مهماً من المجتمع الدولي، وأنها ليست بمعزل عن محيطها الإقليمي والدولي؛ فإن ثمة درجات من التأثر والتأثير، وإن تفاوتت نسبتها من دولة إلى أخرى، في إطار علاقاتها الدولية عامةً، أو في إطار تعزيز علاقات المجموعتين العربية والإفريقية فيما بينها. ومن منطلق كون الورقة البحثية تُعنى برصد العلاقات العربية الإفريقية، وانعكاسات المتغيرات السياسية عليها، فستسعى إلى رصد أهم المتغيرات الإقليمية على الساحتين العربية والإفريقية؛ بغية الوقوف على ما خلّفته من آثار، ومدى تأثير التفاعل القائم بين المجموعتين في وتيرة العلاقات العربية الإفريقية، وهو ما يمكن استشفافه من خلال



د. الخضر عبدالباقي، ود. حسن مكي، ود. عبدالعزيز العبيدي

د. صالح علي: ثمة ملامح تعدّ مهمة تدلّ على الأهمية الاقتصادية للدول الخليجية في ظلّ ارتفاع معدلات النمو الاقتصادي فيها

تناول جانب من المتغيرات السياسية عبر مدد زمنية متلاحقة». وتناولت هذه الورقة النقاط الآتية:

أولاً: أهم المتغيرات على الساحتين العربية والإفريقية منذ عام ١٩٧٣- ١٩٩٣م وانعكاساتها.

- **حرب أكتوبر وأثر المواقف الإفريقية حيالها في العلاقات العربية الإفريقية.**
- **استقلال ناميبيا وأثره في العلاقات العربية الإفريقية.**

ثانياً: العلاقات العربية الإفريقية في ظلّ أهم المتغيرات منذ عام ١٩٩٤م وسبل تعزيزها.

- **تنامي الاستقرار السياسي في القارة الإفريقية، ودوره في فرص تنمية العلاقات.**
- **مرحلة ما بعد التمييز العنصري في جنوب إفريقية، ودوره في تعزيز العلاقات.**
- **تطور نموّ التبادل التجاري العربي الإفريقي، خصوصاً مع دول الخليج، وأثره في تطور العلاقات بين الجانبين.**
- **تنامي الاهتمام الخليجي بتعزيز العلاقات الخليجية الإفريقية، خصوصاً الدور السعودي، وانعكاساته على العلاقات.**

وعن ردود الفعل العربية تجاه الموقف الإفريقي في حرب أكتوبر، قال د. صالح علي: «إن الموقف الذي انتهجته الدول الإفريقية قبيل أكتوبر عام ١٩٧٣م، واكتمل بحرب أكتوبر وبعدها، كان مثار ترحيب كبير من الدول العربية، ومدعاةً لتوجّهها نحو تعميق علاقات هذه الدول بالكتلة الإفريقية. بعد



انتهاء حرب أكتوبر حدث توجّه عربي نحو الاهتمام بالتعاون مع الدول الإفريقية، أو بالأحرى تكثيف ما كان قائماً، والسعي إلى التمسك به وتطويره».

وفي هذا الإطار تطرّق الباحث إلى الموقف العربي تجاه أهم القضايا الإفريقية، فقال: «على الرغم من أن الاهتمام العربي الموجّه صوب القضايا الإفريقية، سواء المتعلقة بالاستعمار أم بالتمييز العنصري، كان قائماً منذ أمد بعيد، إلا أن هذا الاهتمام زاد واتّسع مداه بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م؛ إذ اتخذ الجانب العربي توجّهاً واهتماماً بالغاً بالقضايا الإفريقية ردَّ فعلٍ تجاه ما تبنّته الدول الإفريقية من حرب أكتوبر. وقد ظهر ذلك جلياً من خلال ما عُقد من مؤتمرات إبّان حرب أكتوبر، وتأكّد هذا الاتجاه بشكل جليّ بعيد انتهاء الحرب في مؤتمر القمة السادس الذي عُقد في الجزائر من ٢٦-٢٨ نوفمبر عام ١٩٧٣م».

وكانت السياسة البترولية العربية تجاه الدول الإفريقية «من أهم السياسات التي انتهجتها الدول العربية في سبيل إضعاف إسرائيل وحلفائها؛ إذ قامت باستخدام النفط سلاح ضغط عليها؛ مما أدى إلى تأثّر كثير من الدول الإفريقية، باستثناء الدول المنتجة للنفط، وكانت الآثار بادية على الدول المستوردة للنفط، وهي الأغلبية العظمى من الدول الإفريقية».

وقد توصّل وزراء العرب في ١٩٧٤/١/٢٣م إلى عدة قرارات بخصوص حلّ ما يواجه الدول الإفريقية من صعوبات. وتمثّلت هذه القرارات في الآتي:

- تأكيد ضرورة تزويد الدول الإفريقية الشقيقة بحاجتها الفعلية من البترول.
- تقديم الدول العربية مجتمعةً ومنفردةً أيّ مساعدة فنية ممكنة لنقل البترول العربي إلى الدول الإفريقية.

وقد برز الاهتمام العربي بتطوير التعاون الاقتصادي بين الدول العربية والإفريقية، وأكد مؤتمر القمة السادس في الجزائر «دعم التعاون الاقتصادي والمالي والثقافي مع البلدان الإفريقية وتوسيعه على المستوى الثنائي، وعلى مستوى المؤسسات الإقليمية العربية والإفريقية. وفي هذا المجال تمّ إنشاء مصرف عربي للتنمية الاقتصادية في إفريقية».

وأوضح د. صالح علي أن «الدول العربية أدّت - في إطار جامعة الدول العربية - دوراً مسانداً للقضية الناميبية، والقضايا الإفريقية عامةً، وأصدرت بشأن ذلك عدة قرارات منذ عام ١٩٤٦م».

وعن تنامي الاهتمام الخليجي بتعزيز العلاقات الخليجية الإفريقية، خصوصاً الدور السعودي في العلاقات، قال د. صالح علي: «بالنظر إلى الأهمية النسبية لدول الخليج في إطار التبادل التجاري العربي الإفريقي نجد أن هناك ملامح تعدّ مهمة تدلّل

سمو الأمير تركي الفيصل وعدد من الدبلوماسيين العرب والأفارقة



على الأهمية الاقتصادية للدول الخليجية، خصوصاً في ظلّ ارتفاع معدلات النمو الاقتصادي فيها، وتطوّر حجم تجارتها مع الدول الإفريقية، خصوصاً المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات، اللتين تأتيان في المركز الأول والثاني على التوالي في حجم التبادل مقارنةً مع الدول العربية الأخرى». ودعا الباحث في الختام إلى تفعيل التعاون الاقتصادي، وترسيخ العلاقات الثقافية، وتنشيط التعاون بين المؤسسات التعليمية.



د. عبدالرحمن كان: استفادت إسرائيل من نتائج الأزمة التي أصابت التعاون العربي الإفريقي، وبدأت بمتابعة ما يحدث من انكسار وشروخ في العلاقات العربية الإفريقية كي تحلّ محلّ الدول العربية

آفاق مستقبل العلاقات العربية الإفريقية

تناول هذا المحور د. عبدالرحمن كان، فأشار إلى أن القارة الإفريقية تعدّ من أهم القارات التي ينبغي أن تحظى بعناية الباحثين المسلمين والعرب؛ إذ يصل عدد المسلمين فيها أكثر من نصف عدد سكانها، وتبلغ مساحتها نحو خُمس مساحة الكرة

الأرضية، وتضم ثروات طبيعية كثيرة، وعلى أرضها توجد مراكز إستراتيجية مهمة: سياسية، واقتصادية، وثقافية، وعسكرية.

وقدّم الدكتور عبدالرحمن كان نبذةً تاريخيةً من العلاقات العربية الإفريقية، فقال: «إن تجربة التعاون العربي الإفريقي من أقدم تجارب التعاون الإقليمية؛ إذ تمتد إلى أعمق من مظاهر الجوار الجغرافي لتشمل أيضاً الروابط الثقافية والبشرية والحضارية التي نسجتها قرون طويلة من الحراك الاجتماعي والتفاعل الحضاري بين الشعوب العربية والإفريقية. في إطار هذه الحقيقة يمكن رصد تطور العلاقات العربية الإفريقية خلال ثلاث مراحل تاريخية، هي: العلاقات العربية الإفريقية قبل الاحتلال الأجنبي، وأثر الاحتلال في العلاقات العربية الإفريقية، ومستقبل العلاقات العربية الإفريقية. لقد انتشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد المغرب على يد المسلمين العرب الذين اشتركوا في أولى موجات الفتوحات الإسلامية. واختلط العرب بالبربر؛ مما أدى إلى ظهور جيل من البربر المستعربين. وحمل العرب والبربر مشعل الإسلام والثقافة العربية عبر أربع طرق تجارية من شمال إفريقية إلى غربها ووسطها: أولها ربط ليبيا وتونس بمنطقة بحيرة تشاد، وثانيها ربط تونس ببلاد الهوسا، وثالثها ربط الجزائر بأواسط نهر النيجر، ورابعها ربط المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر».

وأضاف د. كان: «نمت العلاقات العربية الإفريقية في الخمسينيات بعد حصول الدول العربية على استقلالها، وشهدت هذه المرحلة درجةً عاليةً من التنسيق والتضامن في كثير من القضايا، من أهمها مكافحة الاستعمار، والتخلص من الاحتلال، والدعم السياسي الذي قدّمته الدول العربية إلى حركات الاستقلال في إفريقية، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية في عهد جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - الذي أدى أدواراً بالغة الأهمية في تفعيل العلاقات العربية الإفريقية، وتفضّل مشكوراً بمساندة الأفارقة معنوياً ومادياً ودبلوماسياً وثقافياً وإعلامياً، وزيارته المشهورة جمهورية السنغال في عهد ولبول سيدار سنجور، إضافةً إلى عدد من الدول الإفريقية، خير دليل على حرصه على دفع عجلة العلاقات العربية الإفريقية إلى الأمام. وكذلك مساندة جمهورية مصر العربية حركات التحرّر الإفريقية مادياً وعسكرياً ودبلوماسياً وإعلامياً في إطار تصاعد الدور المصري في إفريقية بعد قيام ثورة يوليو/ تموز عام ١٩٥٢م بقيادة جمال عبدالناصر».

وتطرّق الباحث إلى التنسيق والتضامن ودعم القضايا العربية والإفريقية في أروقة الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز: «فقد كافحت الدول العربية والإفريقية معاً ضد الاستعمار الاستيطاني في جنوب إفريقية وفلسطين، وتجلّت مساعدة الدول العربية للدول الإفريقية في المواقف الإيجابية لوفود دولها لدى الأمم المتحدة من قضايا تحرير البلاد المستعمرة، وقضية مناهضة العنصرية في جنوب إفريقية، وما أدى إليه هذا الموقف من إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٥١٤ في سبتمبر/ أيلول عام ١٩٦٠م، الخاصّ بمنح البلاد والشعوب المستعمرة استقلالها».

وأشار الباحث إلى أنه «في حرب أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٧٣م، التي استخدم فيها جلالة الملك فيصل - رحمه الله - سلاح البترول إستراتيجية جديدة في الحرب، أعربت حكومات الدول الإفريقية الأعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية عن تضامنها مع الشعوب العربية. وقد ترجم ذلك في شكل إجراءات قطع جماعي للعلاقات الدبلوماسية مع دولة إسرائيل المحتلة. وبانتهاء الحرب بلغ عدد الدول الإفريقية التي قطعت علاقاتها مع دولة إسرائيل المحتلة ٢٩ دولة، ولم يتبقَّ من الدول الإفريقية الأعضاء في المنظمة سوى أربع دول لها علاقات مع دولة إسرائيل المحتلة، هي: ملاوي، وموريشيوس، وليسوتو، وسوازيلاند».

وعن الحقبة التالية لشهر أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٧٣م قال د. كان: «شهدت هذه المدة مرحلةً جديدةً في تاريخ العلاقات العربية الإفريقية، كان من أبرز سماتها الاتصالات والمشاورات بين الأمانة العامة لكلّ من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية. وبادر الجانب الإفريقي إلى إصدار المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة

الإفريقية قراراً خاصاً بالتعاون العربي الإفريقي نصّ على إنشاء لجنة سباعية لإجراء اتصالات مع الدول العربية عن طريق جامعة الدول العربية لدراسة آثار حظر البترول على الدول الإفريقية، وأوصى المجلس بإقامة تعاون اقتصادي عربي إفريقي، وشكّلت لجنة خاصة بهذا الموضوع عقدت أول اجتماع لها في أديس أبابا عام ١٩٧٣م».

وأوضح د. كان أن هناك أزمةً في التعاون العربي الإفريقي ظهرت مع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات؛ إذ ألقت اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية بظلالها على هذه العلاقة، و«انتشر الارتباك والتشتّت في علاقات النظام العربي، وامتدّ ذلك إلى تفاعلات النظامين العربي والإفريقي. كما حدث ذلك نتيجة تأثّر دور القلب المنظّم للتفاعلات العربية الإفريقية، حتى إن قضية عضوية مصر في منظمة الوحدة الإفريقية، وفي اللجنة الدائمة للتعاون العربي الإفريقي، أثارت كثيراً من الجدل، وحدث توقّف في اجتماعاتها بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٢م». وأوضح أن دولة إسرائيل المحتلة «استفادت من نتائج الأزمة التي أصابت التعاون العربي الإفريقي، وبدأت في متابعة ما يحدث من انكسار وشروخ في العلاقات العربية الإفريقية، وعملت على تعميقها واستغلالها لمصلحتها؛ كي تحلّ محلّ الدول العربية في القارة الإفريقية على المستوى التجاري والاقتصادي والعسكري، فتزايدت صادراتها إلى إفريقية، وتزايدت وارداتها منها، ومارست نشاطاً في نحو ٢٢ دولة إفريقية». وأضاف: «مع بداية التسعينيات، وفي ظلّ النظام العالمي الجديد الأحاديّ القطبية، وما ارتبط به من اتساع دور الدول المانحة الأوربية والأمريكية في ميدان القروض والمنح والمساعدات، ودور البنك وصندوق النقد الدوليين في دعم اقتصاديات كثير من الدول الإفريقية؛ انعكست تلك الظروف في مجملها سلباً على حجم المساعدات العربية المقدمة إلى الدول الإفريقية؛ مما دفع كثيراً من تلك الدول إلى التشكيك في أهداف التعاون، ومدى مصداقيته، ومدى حماس الجانب العربي للتعاون مع الدول الإفريقية».

وعن آفاق مستقبل العلاقات العربية الإفريقية ذكر الباحث أن «الدول الإفريقية مملوءة بفرص الاستثمار الواعدة، خصوصاً في مجالات البنية التحتية، والزراعة، وتربية الأغنام والمواشي؛ مما يوفّر احتياجات الدول العربية من الغذاء، ويفتح المجال أمام القطاع الخاص لاستكشاف الفرص الموجودة في بلادهم، التي يتوافر فيها مخزون واسع من المعادن النفيسة؛ مثل: الذهب، والأحجار الكريمة، والفوسفات، والكالسيوم، وغيرها من المعادن المهمة».

وأكد الباحث أهمية «العمل الجاد من أجل تنمية التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي، والبحث عن أفضل الفرص الممكنة والواعدة للاستثمار فيها، وإبرام اتفاقيات لتسهيل التجارة العربية مع أهم التجمعات الإفريقية، وإنشاء صندوق خليجي مشترك تشرف عليه الحكومات لدعم الصادرات الخليجية إلى إفريقية،



د. الخضر عبدالباقي: لماذا ظلّ الطرف العربي هو الفاعل دائماً في مجمل الخطاب الثقافي العربي عن الإفريقي، وظلّ نظيره الإفريقي في حالة المفعول به؟

وتشجيع إقامة شركات استثمارية في مجالات الزراعة لتحقيق الأمن الغذائي، وحثّ البنوك الخليجية على ممارسة أنشطتها داخل القارة الإفريقية؛ لأن مستقبل إفريقية مرتبط بالعالم العربي، والعكس صحيح؛ لأن مصيرهم مشترك، والتحديات التي تواجههم مشتركة؛ لذلك لابد من العمل معاً لتحقيق المصالح المشتركة بين الجانبين، والحرص على إيجاد حلول مبتكرة وأفكار خلاقة؛ فإفريقية تمثّل الشريك الأفضل للعرب مستقبلاً».

الرهانات الثقافية في العلاقات العربية الإفريقية

وقدّم د. الخضر عبدالباقي محمد - عبر مدخل غير تقليدي - ورقته عن العلاقات الثقافية العربية الإفريقية؛ إذ قال: «لا أنوي في هذه العجالة السريعة، وعبر هذه المداخلة البحثية، أن أعيد الحديث والكلام المكرّر دوماً، أو الأسطوانة الرومانسية النمطية الجميلة، التي نحفظ مضمونها جميعاً عن العلاقات العربية الإفريقية؛ مثل: العمق التاريخي للعلاقات بين العرب والأفارقة

واجتماعية، وهموم مشتركة ومصير واحد». وأكد بحزم أن «تلك العلاقات ليست بهذه الصورة الوردية الجميلة التي ترسمها وتقول بها الأدبيات ومخزون التراث العربي وكذلك الإفريقي الزاخر في هذا المجال»، موضحاً أن «هناك فجوةً بين المنظومة الفكرية التي تأسّست عليها هذه العلاقات وواقع التبادل والتفاعل بين الطرفين، وبمعنى آخر: الإشكالية الحقيقية التي تعانيها العلاقات العربية الإفريقية تتحدد في عدم التماسك والاتساق بين تلك النظريات الجميلة وجزئيات التعامل بين الطرف العربي ونظيره الإفريقي».

وأجاب الباحث عن سؤال: لماذا الرهان على الثقافة لتطوير العلاقات العربية الإفريقية؟ قائلاً: «يأتي الرهان على الثقافة لأسباب كثيرة، لعل في مقدمتها تلك الخصائص التي تتميّز وتتفرد بها عن غيرها، وعلى رأسها سمة الثبات والديمومة؛ فالمتغير الثقافي أكثر في الحفاظ على العلاقات بين الطرفين، ويضفي عليها طابع الاستمرارية».

وأعقب الباحث ذلك بتقديم وقفة نقدية للعرب، موضحاً أن



التي ترجع إلى أكثر من ألفي عام، ومقولة أخرى تفيد أن إفريقية وبلاد الشرق كانت رقعة واحدة حتى انفلقت القشرة الأرضية، ففصل البحر الأحمر بينهما، وغيرها كثير من المقولات التي تشير إلى ما يجمع بين العرب والأفارقة من وشائج وروابط تاريخية

«أغلبية ما كتب بالعربية، ومعظم ما وصلنا عن إدراك العرب إفريقية، كان جزئياً أو متحيّزاً أو هما معاً. ويشمل ذلك جزئية الأزمنة التاريخية وفق منظور فكري معين»، وأضاف: «كما تجاهلت معظم الكتابات العربية عن إفريقية حقيقة أن الإدراك

كان أحد المكونات الرئيسة للثقافة الإفريقية للعرب»، مشيراً إلى «ارتباط طرح تساؤلات عن الذات الإفريقية بطرح تساؤلات عن حقيقة الذات العربية، وحدود إدراكها وجود الآخر». وختم الباحث بطرح جملة تساؤلات، منها:

- لماذا ظلّ الطرف العربي هو الفاعل دائماً في مجمل الخطاب الثقافي العربي عن الإفريقي، وظلّ نظيره الإفريقي في حالة المفعول به؟
- إلى متى تظلّ الروح التواكلية والاعتماد على العرب في مجمل الخطاب الثقافي الإفريقي، حتى على مستوى الخطاب السياسي للدول الإفريقية ذات الإمكانات الاقتصادية الممتازة؟
- إلى متى يظلّ الحضور المتدنّي للشأن الإفريقي في وسائل الإعلام العربية الرسمية مع هذا التقدم الهائل في تقنيات وسائل المعلومات والاتصال؟
- إلى أيّ مدى يمكن القبول أو الاعتماد على الأطر الخبرية الغربية (المنظور الغربي) لتقديم الشؤون الإفريقية في وسائل الإعلام العربية الرسمية؟
- إلى متى يظلّ العرب والأفارقة أسرى مدرسة النسبية الثقافية والخصوصية التاريخية الأنثربولوجية (الأنموذج الثقافي الغربي الأسمى)؛ إذ إن الخبراء في الشؤون الإفريقية أجانب من الغرب؟
- لماذا تصرّ دول عربية كثيرة على المقاربة الدينية فقط للتواصل مع الأفارقة؛ فالمنح الدراسية المقدمة هي للكليات الشرعية؟
- لماذا لا توجد أقسام للغات الإفريقية ومراكز البحوث والدراسات في الشؤون الإفريقية في كثير من البلدان العربية، وتحديداً الخليجية؟
- لماذا كان المعهد الثقافي العربي الإفريقي في باماكو (مالي) المشروع الثقافي العربي المشترك بهذا المستوى من الضآلة والتواضع والإهمال والتهميش، في وقت يرفل فيه المعهد العربي في باريس في بحبوحة العيش والإغراق بالأموال العربية؟
- ألم يحن الوقت لمناقشة المسكوت عنه بين العرب والأفارقة؟ ولماذا هذا الاتجاه الأحاديّ في مسيرة العلاقات السياسية بين الدول العربية والإفريقية؟
- ماذا لا تتّجه بوصلة زيارات القادة العرب نحو البلدان الإفريقية؟
- لماذا لا نرى الطلاب العرب في الجامعات الإفريقية على غرار ما نراه في الجامعات العربية؟ أليس هناك عدد من الاتفاقيات الثقافية الموقّعة بين كثير من الدول العربية والإفريقية؟
- لماذا لا يحضر الاحتفالات الرسمية للسفارات الإفريقية في البلدان العربية إلا المسؤولون من الدرجة الثانية أو الثالثة؟.

وطالب الباحث المنظومة الثقافية العربية عامةً تجاه إفريقية «بتحديث نفسها، وتجديد خطابها الفكري المتعلق بإفريقية بكلّ جوانبه، والدخول بقوة في حركة نشاط التثاقف الحضاري بين الشعوب، خصوصاً دول الجنوب التي من بينها الشعوب الإفريقية. ونثمّن في هذا الصدد دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حفظه الله».

وقدّم عدد من الحضور مداخلات قيمة، كان من أبرزها ما ذكره البروفيسور عز الدين عمر موسى - عميد كلية العلوم الإستراتيجية في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - من أن أغلبية العرب أفارقة، ومن ثَمّ يبدو عنوان الندوة ملتبساً؛ لذا يمكن الحديث عن العلاقة مع إفريقية جنوب الصحراء، مؤكداً عمق الوجود العربي، وتجذّر الحضارة الإسلامية بالقوة الذاتية للإسلام، وطالب الأفارقة بضرورة العمل على تقديم أنفسهم بدلاً من انتظار الآخرين أن يقدموهم، كما أشار إلى وجود كثير من المسكوت عنه في تلك العلاقة الذي يستحق التناول المتعمق من أجل علاقة معافاة.



د. عبدالرحمن كان: ألقت اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية بظلالها على علاقة الطرفين، وانتشر الارتباك والتشتّت في علاقات النظام العربي

الميزان في تاريخ بني هزّان



صدرت الطبعة الأولى لكتاب (الميزان في تاريخ بني هزّان: نسبها، أعلامها، أماكنها، مواقفها) من الدار العربية للموسوعات، وهو من جمع وإعداد د. محمد بن راشد العثمان الهزاني، وتبلغ صفحاته ١٥٩ صفحة من القطع المتوسط، وفيه فهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر، والأعلام، والأمكنة، وأسماء الكتب والمراجع.

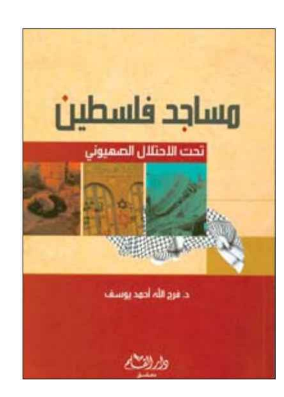
يحتوي الكتاب على تسعة فصول، تتناول على التوالي: بني هزّان، وفروعها القديمة، وأخبارها، وصلتها بآل سعود، والأعلام من رجالها ونسائها، ومنازلها، ومواقفها، وما قيل فيها من الشعر، وخيلها.

وبنو هزّان قبيلة عدنانية عنزية، تنتسب إلى هزّان بن صباح بن عتيك، وهم أبناء عم أبعدون لآل سعود. وقد سكنت وادي المجازة في اليمامة، ومن أشهر مساكنها: وادي المجازة، ووادي نعام، ووادي بريك، وعلية، وماوان، وشهوان. وتفرّقت إلى أكثر من أربعين حمولة منتشرة في جميع أنحاء المملكة، ولها قوة ومنعة، وعلماء وشعراء وقادة، وفيهم من تولّى الإمارة، ومن أشهر ما قاله الشعراء عنها قول الأعشى:

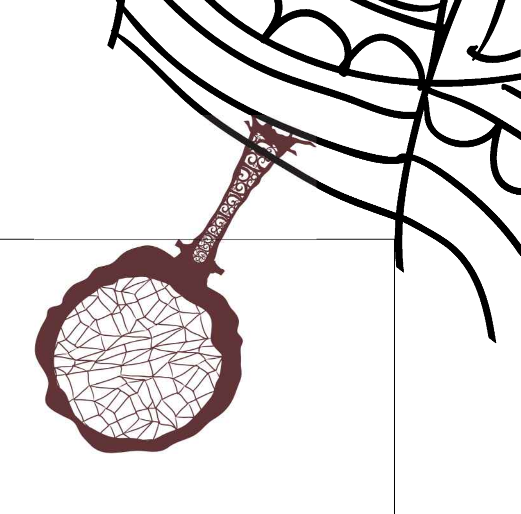
لقد كان في فتيان قومك منكح … وشبّان هزّان الطوال الغرانقه

وأدى اهتمام المؤلف بالأنساب إلى جمع هذا الكتاب، إضافةً إلى أسباب ذكرها الناشر في خلفية الكتاب، وهي: فخر العرب بأنسابهم، وعنايتهم بذلك عنايةً بلغت الدرجات العليا، واهتمامهم بقبيلتهم والموت في سبيل بقائها حرةً، وشجاعتهم ومناصرة الضعيف، كل ذلك جعلها تُخصّص من يعرف أنسابها. لذا اهتم الدكتور محمد الهزّاني بالحديث التفصيلي عن قبيلته بني هزّان، متناولاً أعلامها، ومنازلها، ومواقعها، وشعراءها، ولم ينسَ الخيل مطيّة الفرسان، وسادة القوم.

مساجد فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني (١٩٤٨-٢٠٠٨م)



يرصد هذا الكتاب أحوال مساجد فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م. وقسم المؤلف الدكتور فرج الله يوسف كتابه وفقاً لأقضية فلسطين، ورتّبها ترتيباً أبجدياً: قضاء بئر السبع، وقضاء بيسان، وقضاء جنين، وقضاء حيفا، وقضاء الخليل، وقضاء الرملة، وقضاء صفد، وقضاء طبرية، وقضاء طولكرم، وقضاء غزة، وقضاء القدس، وقضاء الناصرة، وقضاء يافا. ومما يذكره أن الصهاينة قاموا في عام ١٩٤٨م بتدمير نحو ١٢٠٠ مسجد، ثم قاموا على مدى ستين عاماً بتدمير كثير من المساجد، وما لم تطُلْهُ يد التدمير حُوّل إلى كُنس، ومطاعم، ومقاهٍ، ومراقص، ومتاحف، ومخازن. ويحتوي الكتاب على كتالوج لصور المساجد. وصدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار القلم في دمشق سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.



كناشة التراث

محمد بن محمد بن جعفر، الشريف شمس الدين الدمشقي الحسيني[1]

حدثني أنه جاور بمكة - شرّفها الله - عدة سنين، وأنه قدم إليها بعض تجار الهند، وجاور، فتعرّف به، وصحبه مدةً. قال: فأخبرني أنه من أهل مصر، وأنه كان تاجراً ركّاضاً، فتوجّه ببزّه إلى بلاد اليمن، وترك عياله بالقاهرة. فلما صار باليمن حسن برأيه أن يعبر بلاد الهند، فلما سار في البحر مدةً خرج عليه السُّرَّاق، فأخذوا جميع ما معه ومع أهل السفينة، فأووا إلى مدينة سمّاها لي، فدخلها، وسأل عن كبير أهلها، فدلّه الناس عليه، فوقف له، وشكا إليه ما أصيب به، وأنه لا يجد القوت. قال: فبشّ في وجهي، ووعدني بخير، وأمر بي فأنزلت في موضع من داره، وأجرى عليّ ما يقوم بحالي، وجعلني من جملة عياله، وأمرني أن أحضر مع أصحابه كلّ ليلة بين يديه في مجلس معدّ لذلك. قال: فلم يمضِ إلا ثلاثة أيام حتى استدعاني، فإذا جميع ما ذهب لي قد وُضع بين يديه، فقال لي: أتعرف هذا؟ قلت: نعم، هذا مالي الذي أخذه السُّرَّاق، قال: انظر فيه؛ قد يكون تأخّر منه شيء، فاعتبرته فلم أفقد منه شيئاً، فقال لي: خذ مالك، ولا تبرح من عندنا. فأخذت ذلك، وصرتُ به إلى حيث أنزلني، وأقمت في نعمته ألازم مجلسه كل ليلة، فلما كان في بعض الليالي خطب خطبة النكاح، وأشهد عليه من حضر مجلسه أنه زوّجني بابنته فلانة على مبلغ عظيم سمّاه، وأنه يحمل به عني في ذمته. فلم أجد بداً من قبول النكاح، وداخلني من ذلك همّ لا يُوصف، وقلتُ في نفسي: لولا أن هذه بلا مبرّة وعذاب أليم ما أنكحنيها؛ فإنه على يقين من فاقتي، وأني من جملة أتباعه، وممن يشملني إحسانه، وأعتدي بنعمته، وأن الذي بيدي من المال لا يرتضيه لأقلّ عبيده؛ فإنه من سعة المال في غاية لا شيء وراءها. ومع هذا كله، فهذا المقدار الذي بيدي من المال إنما هو من صدقاته عليّ؛ فإنه كان قد أخذه السُّرَّاق؛ فلوفور حرمته، وقوة شوكته، وعظيم مكانته في بلده، كان له من القدرة ما ألزم السُّرَّاق حتى أتوه بجميع ما أخذوه لي، ثم أنعم هو به عليّ. وتردّد هذا ونحوه في فكري أياماً، إلى أن كنتُ على



عادتي مع جلسائه في مجلسه ليلاً، فأطعمنا على العادة، وقمنا لنذهب، فأشار إليّ، فتأخرت دون الجماعة، فأدخلني إلى داره، فرأيت فيها من النِّعَم وأنواع الأموال ما يدهش، وخرجت عدة جواري ووصائف كثيرة، وبينهن العروس قد زفّها إليّ، فراعني جمالها، وأخذ بقلبي حسنها، فأوقفها بين يديه، وقال لها وأنا معه: ألم أقل لك إني قد زوّجتك بهذا؟ وأشار إليّ، قالت: بلى، قال: وما عرّفتك أنه فقير لا مال له، وأنه غريب من بلادنا، وأنه يريد العود إلى بلاده، وأنك إذا سافر تذهبين معه، وأنه لا بدّ له أن يتزوّج عليك ويتسرّى، وأنه إذا أراد التسرّي تكونين أنت التي تشترين له بمالك السُّرِّيَّة؟. فقالت في كلّ ذلك: قد قلتَ لي هذا. فالتفت إليّ، وقال: دونك أهلك. وخرج عني، فرأيت من أدب هذه المرأة، وجميل أخلاقها، ووفور عقلها، ما لا حسبت أنه يجتمع في امرأة سواها، فأقمت معها مدة، فقالت لي ذات يوم: جميع ما قاله لي أبي عنك، وقلت له فيه أني رضيت به، كان كما أخبرته به إلا قوله: وتشترين أنت له السُّرِّيَّة من مالك، ما قلتُ له فيه إني رضيتُ إلا خوفاً منه ومهابةً له. قال: ولم تمضِ مدة يسيرة حتى رأيت بضاعة تباع لو حُملت إلى مصر لربح كل درهم عشرات، فدخلت داري وأنا أسيف على أن يكون معي ثمنها، فسألتني زوجتي عن سبب تغيّري، فحدثتها، فقالت: خُذْ هذا المبلغ، وكان آلافاً من الذهب، فامتنعت من أخذه، فقالت: لا عليك، إن أبي أمرني أن أدفع إليك ما تحتاج إليه من المال. فأخذت المبلغ، وتبضّعت به. قال: فلما كان بعد مدة قال لي أبوها: لعلك تريد العَوَد إلى بلادك، فإذا عزمت فسرْ بأهلك معك. قال: فجهّزت حالي، وركبت بها وبأموالها البحر، ونزلت اليمن، ورزقني الله منها ولدين، وهما معها باليمن قد تركتهم بخير وحججت، فلم يتهيأ لي بيع بضائعي، فجاورت هذا العام، وعزمي أن أعود إليهم، وآتي بهم ليحجّوا. قال الشريف: فلما مضى العام عاد الرجل إلى اليمن، وقدم مكة من قابل بأهله وولديه وخدمه وحشمه، فجاور بهم عاماً، ثم أعادهم إلى اليمن، وقال لي: أريد أن أعود إلى مصر، وأتفقّد حال من تركته بها من عيال، فأخذني معه، وقدما القاهرة وقد نالني منه خير كثير، فلقي الرجل أهله وأولاده، ولم أشعر ذات يوم إلا وقد بعث إليّ بألف درهم فضة من نقد القاهرة، وقال لي: ابعث إليّ بهذه الألف غداً على أنها مهر ابنتي، ففعلت ذلك، وزوّجنيها، وهي هذه التي في عصمتي أم أولادي هؤلاء. قال: ثم عاد الرجل إلى بلاد اليمن، وقد بلغنا موته، وجهّزت من يأخذ ميراث زوجتي من تركته، وله غائب عنا عدة سنين، فاتفق موت الشريف وموت زوجته المذكورة، ولم يأت القاصد الذي بعثوه لأخذ الميراث خبر لهذا الشريف الدمشقي إلى الآن، ذرّيته بالقاهرة رحمه الله.

محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر، أبو الفتح الشيباني العطار، يُعرف بقُطَيْط[٢]

سمعتُ منه في دار أبي القاسم الأزهري جزءاً من تخريج أبي الحسن النعيمي له عن هؤلاء الشيوخ، وكان شيخاً ظريفاً مليح المحاضرة، يسلك طريق التصوّف. وسمعته يقول: ولدتُ ببغداد في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة، وولد أبي ببغداد، وجدي محمد من أهل سامرا، وجعفر جد أبي من أهل البادية. ولما وُلدت سُمِّيت قُطيطاً على أسماء أهل البادية، فكان اسمي إلى أن كبرت، ثم إن بعض أهلي سمّاني محمداً، فاسمي الآن قطيط، ولقبي محمد، وهو الغالب عليّ.

تُوفِّي أبو الفتح قطيط بالأهواز في سنة أربع وثلاثين وأربعمئة.

حدثنا أبو القاسم علي بن الحسن بن علي أبي عثمان الدقاق وغيره أن الملك الملقّب بعضد الدولة كان قد بعث القاضي أبا بكر ابن الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عُرِّف الملك خبره، وبُيِّن له محلُّه من العلم وموضعه، ففكر الملك في أمره، وعلم أنه لا يكفر له إذا دخل عليه، كما جرى رسم الرعية أن تقبّل

العددان ٤١٩-٤٢٠ / الجماديان ١٤٣٢هـ



الأرض بين يدي الملوك، ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكّن أحداً أن يدخل منه إلا راكعاً؛ ليدخل القاضي منه على تلك الحال، فيكون عوضاً من تكفيره بين يديه. فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان، فلما رآه تفكّر فيه، ثم فطن بالقصة فأدار ظهره، وحنا رأسه راكعاً، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدُبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب ظهره، وأدار وجهه حينئذٍ إلى الملك، فعجب من فطنته، ووقعت له الهيبة في نفسه.

أخبرنا أبو الحسن الطاهري قال: أخبرنا علي بن عبدالله بن المغيرة قال: حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني المدائني قال: دخل على المهدي رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن المنصور شتمني وقذف أبي، فإما أمرتني أن أحلله، وإما عوّضتني فاستغفرت له. قال: ولم شتمك؟ قال: شتمت عدوه بحضرته فغضب. قال: ومن عدوه الذي غضب لشتمه؟ قال: إبراهيم بن عبدالله بن حسن. قال: إن إبراهيم أمسّ به رحماً، وأوجب عليه حقاً، فإن كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذبّ، وعن عرضه دفع، وما أساء من انتصر لابن عمّه. قال: إنه كان عدواً له، قال: فلم ينتصر للعداوة، إنما انتصر للرحم. فأسكت الرجل. فلما ذهب ليولّي قال: لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعةً عندك أبلغ من هذه الدعوى؟ قال: نعم، فتبسّم، ثم أمر له بخمسة آلاف درهم.

أخبرني الحسن بن محمد بن الحسن الخلال قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا الحسن بن علي العنزي قال: حدثنا العباس بن عبدالله بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس قال: حدثتني جدتي فائقة بنت عبدالله أم عبدالواحد بن جعفر بن سليمان قالت: إنا يوماً عند المهدي أمير المؤمنين، وكان قد خرج متنزّهاً إلى الأنبار، إذ دخل عليه الربيع، ومعه قطعة من جراب فيه كتابة برماد وخاتم من طين قد عجن بالرماد، وهو مطبوع بخاتم الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أعجب من هذه الرقعة، جاءني بها رجل أعرابي وهو ينادي: هذا كتاب أمير المؤمنين المهدي، دلوني على هذا الرجل الذي يسمّى الربيع؛ فقد أمرني أن أدفعها إليه، وهذه الرقعة. فأخذها المهدي وضحك، وقال: صدق، هذا خطي، وهذا خاتمي، أفلا أخبركم بالقصة كيف كانت؟ قلنا: أمير المؤمنين أعلِ أعيننا في ذلك. قال: خرجت أمس إلى الصيد في عب سماء، فلما أصحّت هاج علينا ضباب شديد، وفقدت أصحابي حتى ما رأيت منهم أحداً، وأصابني من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم، وتحيّرت عند ذلك، فذكرت دعاءً سمعته من أبي يحكيه، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس رفعه قال: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: بسم الله، وبالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اعتصمت بالله، وتوكلت على الله، حسبي الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وُقي وكُفي وشُفي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء». فلما قلتها رفع لي ضوء نار، فقصدتها، فإذا بهذا الأعرابي في خيمة له، وإذا هو يوقد ناراً بين يديه، فقلت: أيها الأعرابي، هل من ضيافة؟ قال: انزل، فنزلت، فقال لزوجته: هاتي ذاك الشعير، فأتت به، فقال: اطحنيه، فابتدأت تطحنه، فقلت له: اسقني ماءً، فأتاني بسقاء فيه مذقة من لبن أكثرها ماء، فشربت منها شربة ما شربت شيئاً قطّ إلا هي أطيب منه. قال: وأعطاني حلساً، فوضعت رأسي عليه، فنمت نومةً ما نمتُ نومةً أطيب منها وألذّ. ثم انتبهت، فإذا هو قد وثب إلى شويهة

فذبحها، وإذا امرأته تقول له: ويحك قتلت نفسك وصبيتك، إنما كان معاشكم من هذه الشاة فذبحتها، فبأيّ شيء نعيش؟ قال: فقلت: لا عليك، هات الشاة، فشققت جوفها، واستخرجت كبدها بسكين كانت في خفّي، فشرحتها ثم طرحتها على النار فأكلتها، ثم قلت: هل عندك شيء أكتب لك فيه؟ فجاءني بهذه القطعة الجراب، فأخذت عوداً من الزناد الذي كان بين يديه، فكتبت له هذا الكتاب، وختمته بهذا الخاتم، وأمرته أن يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها إليه، فإذا في الرقعة خمسمئة ألف درهم. فقال: والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم، ولكن جرت بخمسمئة ألف درهم لا أنقص والله منها درهماً واحداً ولو لم يكن في بيت المال غيرها، احملوها معه. فما كان إلا قليلاً حتى كثرت إبله وشاؤه، وصار منزلاً من المنازل ينزله الناس ممن أراد الحج من الأنبار إلى مكة، وسُمِّي منزل مضيف أمير المؤمنين المهدي.

قال ابن عرفة: وبلغني أن المهدي لما فرغ من بناء عيسى باذ ركب في جماعة يسير لينظر، فدخله مفاجأة، وأخرج من كان هناك من الناس، وبقي رجلان خفيا عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما، وهو دهشٌ ما يعقل، فقال: من أنت؟ قال: أنا، أنا، أنا. قال: ويلك! من أنت؟ قال: لا أدري، قال: ألك حاجة؟ قال: لا، لا. قال: أخرجوه، أخرج الله نفسه. فدفع في قفاه، فلما خرج قال لغلام له: اتبعه من حيث لا يعلم، فاسأل عن أمره ومهنته؛ فإني أخاله حائكاً. فخرج الغلام يقفوه. ثم رأى الآخر فاستنطقه، فأجابه بقلب جريء ولسان منبسط، فقال: من أنت؟ فقال: رجل من أبناء رجال دعوتك. قال: فما جاء بك إلى ها هنا؟ قال: جئت لأنظر إلى هذا البناء الحسن، فأتمتع بالنظر، وأكثر الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة، وتمام النعمة، ونماء العز والسلامة. قال: أفلك حاجة؟ قال: نعم، خطبت ابنة عمي، فردّني أبوها، وقال: لا مال لك. والناس يرغبون في الأموال، وأنا بها مشغوف، ولها وامق. قال: أمرتُ لك بخمسين ألف درهم. قال: جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين، قد وصلت فأجزلت الصلة، ومننت فأعظمت المنة، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيامك خيراً من أولها، وأمتعك بما أنعم به، وأمتع رعيتك بك. فأمر أن تعجّل له صلته، ووجّه ببعض خاصته معه، وقال: سل عن مهنته؛ فإني أخاله كاتباً. فرجع الرسولان معاً، فقال الأول: وجدت الأول حائكاً، وقال الآخر: وجدت الرجل كاتباً. فقال المهدي: لم تَخْفَ عليّ مخاطبة الكاتب والحائك.

أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمران قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى المكي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: قال ابن أبي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس، فلو أعنتهم مما في يديك من الفيء؟ قال: ويلك! لولا ما سددتُ من الثغور، وبعثتُ من الجيوش، لكنتَ تؤتى في منزلك وتذبح. فقال ابن أبي ذئب: فقد سدّ الثغور، وجيّش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك. قال: ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب. فنكس المنصور رأسه، والسيف بيد المسيب، والعمود بيد مالك بن الهيثم، فلم يعرض له، والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام فقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز.

حدثني أبو الوليد الحسن بن محمد الدَّرْبَنديّ قال: حدثنا علي بن محمد بن أحمد الختلي بواسط قال: حدثنا القاضي أبو بكر محمد بن عبدالرحمن بن قريعة قال: حدثنا علي بن موسى الكاتب قال: اتفقت أنا وأبو العيناء الضرير بمربعة الخُرسي، فسلّمت عليه، فقال لي: أحبّ أن تساعدني إلى سوق الدوابّ، فتوجّهنا نقصدها، فزحمه حمار عليه راكب، فأنشأ يقول (من مخلّع البسيط):

يا خالف الليل والنهار	صبراً على الذلّ والصَّغَار
كم من جواد بلا حمار	ومن حمار على حمار

المراجع

(١) درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تقيّ الدين أحمد بن علي المقريزي (٧٦٦- ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥- ١٤٤٢م)، المجلد الثالث.

(٢) تاريخ مدينة السلام وأخبار مُحدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها وارديها، الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢- ٤٦٣هـ)، المجلد الثالث.



تقرير

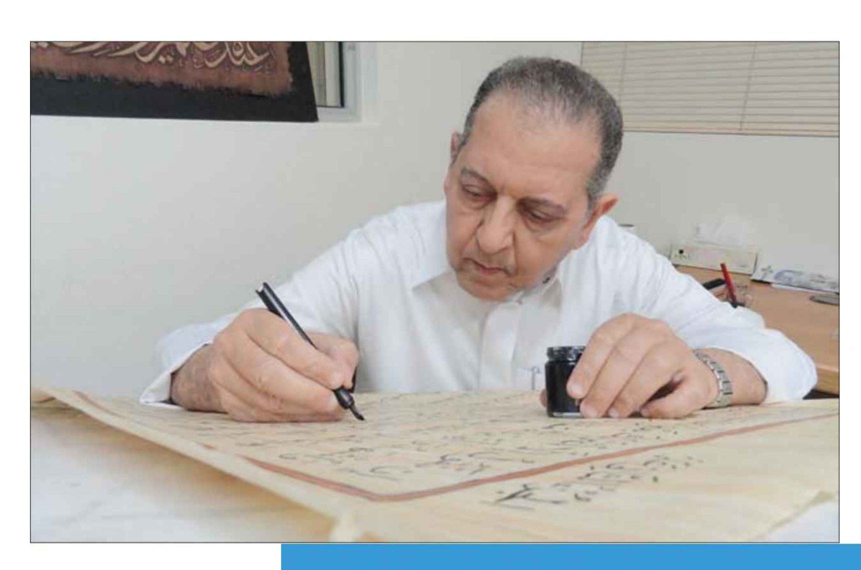
مصحف الفيصل يجذب الأنظار

في ملتقى أشهر خطّاطي المصحف الشريف

سيد الجعفري
التحرير

نظّم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة - برعايةٍ كريمةٍ من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في المدة من ٢٢-١٤٣٢/٥/٢٨هـ الموافق ٢٦/٤-٢٠١١/٥/٢م - ملتقى لأشهر خطّاطي المصحف الشريف في العالم؛ تقديراً لجهود خطّاطي المصحف الشريف، واهتماماً بالخط العربي وجمالياته. وضمّ الملتقى نخبةً ممّن تشرّفوا بكتابة المصحف، والمهتمين بعلم الرسم العثماني وقضايا الخط العربي وزخرفته. وافتتح الملتقى نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المشرف العام على المجمع.

بلغ عدد المشاركين في الملتقى من الخطّاطين الذي كتبوا المصحف الشريف ١٩٢ خطاطاً من مختلف أنحاء العالم، وشارك فيه بعض الجهات الحكومية والمؤسسات؛ منها: الإدارة العامة لمصنع كسوة الكعبة المشرفة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود، وشركة مروان عبيد (سورية)، ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إسطانبول (إرسيكا)، ومركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة (السعودية)، ومكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة، والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، والهيئة العامة للسياحة والآثار.





معرض مميّز

صاحب فعاليات الملتقى معرض كبير متنوّع شمل: مصاحف كتبها خطّاطون مشاركون في الملتقى، ومصاحف قديمة في عصور مختلفة لدى بعض المؤسسات والجامعات، ولوحات خطية شارك بها أكثر من مئتي خطّاط من أنحاء العالم ممّن تقدموا للمشاركة في هذا الملتقى العالمي، ولوحات زخارف ومذهبات منوّعة، وأدوات خطّ قديمة وحديثة، وكتباً اهتمت بالخط والكتابة ورسم المصحف، ومجلات متخصّصة في الخطّ والخطّاطين، وورشاً فنية مارس فيها بعض الخطّاطين الكتابة ورسم الحروف بأنواع الخطوط المختلفة أمام الجمهور، وعرض ثلاث تجارب في خطوط الحاسب الآلي، وعرض ورش فنية نسائية في القاعة المخصّصة لهن، وعرض لوحات الموهوبين السعوديين في قاعة مستقلة للاستفادة من كبار الخطّاطين المشاركين في تنمية مواهبهم، وعرض مقتنيات بعض المؤسسات من مصاحف وزخارف ولوحات ونقوش في قاعة مستقلة.

بلغ عدد المشاركين في الملتقى من الخطّاطين الذي كتبوا المصحف الشريف ١٩٢ خطاطاً من مختلف أنحاء العالم





كُتب مصحف الفيصل بخطّي النسخ والثلث موافقاً تمام الموافقة – رسماً وضبطاً – مصحف المدينة النبوية، وهو يتكون من ٦٠٤ صفحات



مصحف الفيصل

شارك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في المعرض المصاحب للملتقى، ممثّلاً في خطّاطه الزميل طاهر عبدالقادر عمارة، بمصحف الفيصل المكتوب على ورق البردي، ومجموعة منتقاة من لوحاته الفنية. وحظي مصحف الفيصل بإقبال كبير من زائري المعرض بسبب ما انفرد به المصحف من خصائص ميّزته من غيره من المصاحف؛ فهو مكتوب على ورق بردي ذي ألوان طبيعية صُنع يدوياً، ولم تدخل في تصنيعه أيّ مكونات كيماوية، ويتميز بقبول معظم الخامات الفنية من أحبار، وألوان مائية، وألوان أكليرك، وألوان البوستر، والذهب،

اثنتين وخمسين ملزمة، تحتوي كل ملزمة على اثنتي عشرة صفحة، مقياس الصفحة ٦٠×٩٠سم.

يُذكر أن فكرة المصحف نبعت من سعي أصحاب السمو الملكي الأمراء والأميرات أبناء الملك فيصل بن عبدالعزيز - براً بأبيهم رحمه الله - إلى كتابة مصحف شريف يحمل اسمه باستعمال خامة غير شائعة في كتابة المصاحف المقتناة، وكان التنفيذ من نصيب الزميل طاهر عبدالقادر عمارة - الخطّاط في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - لما له من خبرة كبيرة في البرديات. وسوف يُعرض المصحف في قاعة الملك فيصل التذكارية بمدينة الرياض، ثم ينتقل بعدها للعرض في متاحف ومراكز إسلامية متنوعة داخل المملكة وخارجها إن شاء الله.

وقد أثنى على كتابة المصحف كلّ من: صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن ماجد بن عبدالعزيز - أمير منطقة المدينة المنورة - والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - والأمير سلطان بن سلمان -رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار- والشيخ علي بن عبدالرحمن الحذيفي - إمام المسجد النبوي الشريف - وغيرهم من زوّار المعرض. كما أجرت بعض القنوات الفضائية والإذاعات لقاءات خاصة عن مصحف الفيصل؛ منها: اقرأ، وMBC، والتلفزيون النيجيري، والتلفزيون الهندي، وإذاعة القرآن الكريم، وإذاعتا الرياض وجدة.



حظي مصحف الفيصل بإقبال كبير من زائري المعرض بسبب ما انفرد به من خصائص ميّزته من غيره من المصاحف

والفضة، كما تنبعث منه رائحة زكية طاردة للحشرات، ويمكن أن يُعمّر آلاف السنين من دون أن تأكله الحشرات. وتمّت كتابة النص القرآني بالحبر الصيني الأسود، الذي استخدم أيضاً في جدولة الصفحات، كما ذُهّبت الصفحات بمداد الذهب اللامع، وزُخرفت بألوان جواش بوستر مائية لا تتأثر بالماء بعد جفافها، كما أنها تحتفظ بمواصفاتها في الظروف المناخية المتغيّرة.

ويتكون مصحف الفيصل من ٦٠٤ صفحات، وكُتب بخطّي النسخ والثلث موافقاً تمام الموافقة - رسماً وضبطاً - مصحف المدينة النبوية، الذي يوالي إصداره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، واستغرقت كتابته وتذهيبه خمسين شهراً، ويقع في

برنامج الملتقى

وتضمّن الملتقى مجموعةً من المحاضرات والندوات وعروض تجارب الخطّ والزخرفة. فمن المحاضرات التي عقدها الملتقى: تطوّر خطوط المصاحف عبر العصور للأستاذ يوسف ذنون عبدالله (العراق)، وجهود مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) في خدمة المصحف الشريف للدكتور خالد أرن (تركيا)، والجهود الصينية في كتابة المصحف الشريف للدكتور يحيى محمود بن جنيد (السعودية). ومن الندوات: الخط العربي بين الخطّاطين والمبرمجين، وجماليات الخطّ العربي في كتابة المصاحف، ومشروع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف للخطوط الحاسوبية الموافقة لمصحف



المدينة النبوية. ومن العروض: عرض الدكتور عثمان طه خطّاط المجمع (سورية)، وعرض الأستاذ ناصر عبدالعزيز الميمون (السعودية)، وعرض الأستاذ حسن جلبي (تركيا)، وعرض الأستاذة نورية غارسيا ماسيب (إسبانيا).

وبلغ عدد الأفراد المشاركين في الملتقى ٢٧٨ مشاركاً، منهم ٢١٩ مشاركاً من خارج المملكة. وكان المشارك محمد همام الشبل من الجزائر أصغر المشاركين سناً (١٣ سنةً)، بينما كان الخطّاط محمود إبراهيم سلامة من مصر أكبر المشاركين سناً (٩٢ سنةً). وبلغ عدد الجهات الحكومية والمؤسسات المشاركة ٢٠ جهة ومؤسسة، منها ٥ مؤسسات من خارج المملكة.

فعاليات مصاحبة

أصدرت الأمانة العامة للمجمع كتاباً وثائقياً عن الملتقى رصد المشاركين فيه من الأفـراد والجهـات الحكومية والمؤسسات، والفعاليات والأنشطة التي صاحبته. ووقع الكتاب في ٥٢٠ صفحة من الحجم الكبير، وبدأ بافتتاحية للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ – وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والمشرف العام على المجمع – أكد فيها أن رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للملتقى وسام يعتزّ به الجميع، ويعزّز مسيرة خدمة كتاب الله، وأن المجمع غدا يمتلك رصيداً معرفياً من الخبرات العلمية والعملية تعينه – بعد توفيق الله – على المضيّ قدماً لبلوغ ما يطمح إلى تحقيقه لخدمة الإسلام والمسلمين في بقاع المعمورة شتّى. وسجّل الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي – الأمين العام للمجمع – كلمةً أشار فيها إلى أن تجويد خطّ المصحف لم يتوقّف عند عصر من عصور الدول الإسلامية المتعاقبة، وأن كتابة المصاحف ما انفكّت تزدهر في جميع الأصقاع والأزمان، في إطار تنافس حميد لبلوغ شرف كتابة الذكر الحكيم.

كما أصدرت الأمانة العامة للملتقى فلماً وثائقياً بعنوان (قافلة النور) باللغتين العربية والإنجليزية، مصحوباً بلغة الإشارة، تناول في ثلاثين دقيقة مسيرة كتابة المصاحف الشريفة منذ عصر نزول الوحي حتى العصر الحاضر بصورة وثائقية شائقة، وعرض لقطات للوثائق الخطية من المصاحف، وأنـواع الخط العربي عبر المدد الزمنية المتنوعة، والمناطق الجغرافية المتعددة، بتصوير رقمي عالي الدقة، وإلقاء صوتي تعريفي مميّز، وإخراج

المشارك محمد همام الشبل من الجزائر هو أصغر المشاركين سناً (١٣ سنةً)، بينما الخطّاط محمود إبراهيم سلامة من مصر أكبر المشاركين سناً (٩٢ سنةً)

فني مبدع. وألقى الفلم الضوء على المراحل التي تسير وفقها طباعة المصحف في مجمع الملك فهد، وجهود المجمع في طباعة المصحف بمختلف الروايات المتواترة، وما لقيه مصحف المدينة النبوية، الذي كتبه الخطّاط عثمان طه، من قبول واسع في أرجاء العالم الإسلامي؛ لما تميّز به من عناية بالغة في كتابته، وتدقيقه، ومراجعته من لجنة علمية متخصّصة، وما توافر له من إمكانات فنية وتقنية عالية في طباعته وإخراجه.

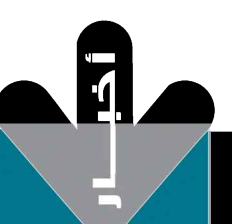
وأصدرت الأمانة أيضاً فلماً إعلانياً عن الملتقى وفعالياته بثّته عدة قنوات فضائية؛ منها: دليل، ومكة، وأهل القرآن، والمعالي، واقرأ. كما بثّت الفلم الخطوط الجوية العربية السعودية على رحلاتها الدولية وبعض رحلاتها الداخلية. وتمّ تنزيل الفلم على رابط الملتقى في موقع المجمع، وعلى موقع الملتقى، وعلى موقع اليوتيوب على الإنترنت. كما صاحب الملتقى إصدار كتالوج، وقع في ١٠٦ صفحات، تضمّن تعريفاً موجزاً بالمجمع، ونماذج من المصاحف القديمة، ونماذج من المصاحف الصادرة عن المجمع، ونماذج من أنواع الخطوط العربية، ونماذج من خطوط المشاركين في الملتقى وزخارفهم، ونماذج من أنواع الخطوط الحاسوبية المستخدمة في المجمع، ونماذج من الزخرفة، وصوراً من أدوات الكتابة، ومَشْقاً بخط الثلث أعدّه خطاط المجمع الدكتور عثمان طه.

إشادة كبيرة

وفي ختام الملتقى، أشاد المشاركون بالمبادرة الكريمة من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بتوجيهه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ممثلةً في مجمع الملك فهد، لتكريم كتبة المصاحف والخطّاطين والباحثين المَعْنيين بمسيرة الخط العربي وتطورها. ورفع المشاركون شكرهم الجزيل لحكومة المملكة العربية السعودية على رعايتها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ودعمها له، وتوفير أرقى الإمكانات العلمية والتقنية للنهوض بمهامّه في خدمة الإسلام والمسلمين، وطالبوا بالاهتمام بالبحوث والدراسات الجادَّة التي تُعنى برسم المصحف الشريف وضبطه وزخرفته، وأهمية إعداد معجم علمي يرصد كُتّاب المصحف الشريف منذ بداية كتابته حتى العصر الحاضر. وأوصى المشاركون بأهمية انعقاد ملتقيات أخرى في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة كلّ أربع سنوات؛ لمتابعة الجهود المبذولة في كتابة المصحف الشريف، وترقية الخط العربي ودراساته. كما أوصى الملتقى بتأليف رابطة لكتبة المصحف الشريف، يكون مقرّها المدينة المنورة، تحت إشراف المجمع، داعياً الخطّاطين إلى أن تكون كتاباتهم موافقة للأخلاق والآداب الإسلامية، وأن يتثبّتوا من سلامة الآيات القرآنية، وصحة الأحاديث الشريفة، مؤكّدين أهمية الإفادة من التقنيات الحديثة، خصوصاً البرامج الحاسوبية، ودراسة سبل تطويعها لخدمة خطّ المصحف الشريف والخط العربي والزخرفة. وأكد المشاركون في الملتقى ضرورة تشجيع الدارسين على إبراز هذا الفنّ، وبيان خصائصه، وأهمية العناية بالموهوبين الذين نبغوا في جماليات الخط العربي، وإنشاء المراكز التي تشجّعهم وترعاهم، وإجراء المسابقات التي تحفزهم إلى متابعة تنمية التذوّق الفني.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن ماجد بن عبدالعزيز – أمير منطقة المدينة المنورة – قد استقبل في مقرّ الإمارة رؤساء اللجان المنظّمة للملتقى والمشاركين فيه، كما زار سموه مقرّ الملتقى والمعارض المصاحبة له التي أقيمت بفندق المريديان في المدينة المنورة.

فكرة المصحف نبعت من سعي أصحاب السمو الملكي الأمراء والأميرات أبناء الملك فيصل بن عبدالعزيز إلى كتابة مصحف شريف يحمل اسم أبيهم باستعمال خامة غير شائعة في كتابة المصاحف المقتناة



خادم الحرمين الشريفين يرعى مهرجان الجنادرية ٢٦



خادم الحرمين الشريفين

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - بعد عصر يوم الأربعاء التاسع من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٣٢هـ الموافق ١٣ إبريل عام ٢٠١١م انطلاقة المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته السادسة والعشرين الذي ينظّمه الحرس الوطني سنوياً بالجنادرية، بحضور جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة - ملك مملكة البحرين الشقيقة - وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض - وصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز - وزير الدولة عضو مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني رئيس اللجنة العليا للمهرجان - ومعالي الأستاذ عبدالمحسن بن عبدالعزيز التويجري - نائب رئيس الحرس الوطني المساعد نائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان - وصاحب السمو الأمير خالد بن عبدالعزيز بن عياف - وكيل الحرس الوطني لشؤون الأفواج.

وشهد - حفظه الله - سباق الهجن، وسلّم الفائزين جوائز السباق، كما كرّم الشخصية السعودية الثقافية لهذا العام، وهو الشيخ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان - عضو هيئة كبار العلماء - فقلّده وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى.

ونيابةً عن خادم الحرمين الشريفين، رعى صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز الحفل الخطابي والفني الكبير الذي أقيم في القاعة المغلقة بالجنادرية. وألقى معالي الأستاذ عبدالمحسن بن عبدالعزيز التويجري - نائب رئيس الحرس الوطني المساعد نائب رئيس اللجنة العليا المنظمة للمهرجان - كلمةً رحّب خلالها بالحضور، وقال: «قد اعتلى صهوة العزيمة والإرادة الصلبة ملك وموحّد أدرك ما معنى الشتات والفرقة والفوضى، فاستشرف الأمل والوحدة والاستقرار، معتمداً على الله جلّ جلاله، ثم على أهله وقومه شعب المملكة العربية السعودية في تحقيق حلم راود الجميع، وتطلعت إليه النفوس. إنه حلم الوحدة التي خطّ أول سطورها الملك المؤسس عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - يحيط به أهله وقومه شعب هذا الوطن؛ لتكون المملكة العربية السعودية يقيناً بعد شكّ، وأملاً بعد يأس، وسوف تظلّ - إن شاء الله - كذلك، وإن غيّبت عقول زاحمها الجهل، وزاحم إرادتها محاولات هشّة، فلا مكان للإرادة واليقين لمتصابٍ فكراً غيّبه قصر نظره، وضيق أفقه».

عقب ذلك دشّن صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز جناح اليابان ضيف شرف المهرجان الوطني السادس والعشرين للتراث والثقافة، ثم كرّم سموه الداعمين ورعاة المهرجان. وألقى معالي السيد توكو ناقا هيساشي - المبعوث الخاصّ لرئيس الوزراء الياباني نائب

وزير الخارجية الياباني - كلمةً قدّم فيها الشكر العميق للمملكة العربية السعودية على إتاحة الفرصة لليابان للمشاركة في هذا المهرجان ضيف شرف. وألقى معالي الأستاذ طارق متري - وزير الإعلام في حكومة تصريف الأعمال اللبنانية - كلمةً ضيوف المهرجان، وألقى الأستاذ حمد العسعوس قصيدةً بهذه المناسبة، ثم ألقى الملازم أول فراج بن درعان بن عريعر بن درعان قصيدةً نبطيةً. وتمّ بعد ذلك عرض أوبريت بعنوان (فرحة وطن).

ترشيح الزميل حسين حسن حسين لجائزة الصحافة العربية عن فئة الحوار الصحفي



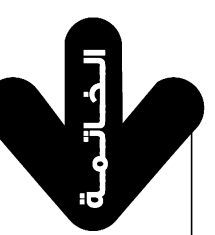
منى بوسمرة   مريم بنت فهد

كشف نادي دبي للصحافة، الذي يمثّل الأمانة العامة لجائزة الصحافة العربية، عن أسماء المرشحين الثلاثة الأوائل عن فئات الجائزة في دورتها العاشرة، على أن يتم إعلان أسماء الفائزين خلال حفل توزيع الجوائز في ١٨ مايو عام ٢٠١١م في فندق جراند حياة دبي عقب انتهاء فعاليات الدورة العاشرة لمنتدى الإعلام العربي، التي تُعقد تحت رعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم - نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي - يومي ١٧ و١٨ مايو المقبل بحضور أكثر من ٢٠٠٠ إعلامي من الوطن العربي والعالم.

وشملت القائمة، التي ضمّت ٣٢ اسماً من الصحفيين من مختلف أرجاء الوطن العربي، اسم الزميل حسين حسن حسين في فئة الحوار الصحفي عن حواره مع الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح – الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية لسنة ١٤٣٠هـ - بعنوان: «المعلمون أضرّوا بالفصحى».

وأكدت منى بوسمرة - نائب مدير جائزة الصحافة العربية - أن أمانة الجائزة بذلت جهداً كبيراً خلال المدة الماضية لاستقبال الأعمال من مختلف أرجاء الوطن العربي، وتمكّنت من تسلّم أكثر من ٣٨٠٠ عمل، في وقت احتدمت فيه المنافسة لمصلحة أغلبية الفئات. وتوجّهت بوسمرة برسالة تهنئة إلى جميع المشاركين، مؤكدةً أن الترشّح للجائزة يمثّل فوزاً في حدّ ذاته بعد منافسة قوية على مختلف فئات الجائزة، ويتمنى فريق مجلة (الفيصل) أن يتوّج الزميل حسين حسن حسين بالجائزة؛ لما له من إسهامات في العمل الصحفي، على مدى سنوات طويلة. وتعدّ هذه الجائزة تتويجاً للزميل العزيز. ومن جهة أخرى، تناقش إحدى جلسات الدورة العاشرة لمنتدى الإعلام العربي يومي ١٧ و١٨ مايو المقبل في فندق جراند حياة دبي واقع التغير في المؤشر الإعلامي المصري بعد أحداث ٢٥ من يناير الماضي، التي أسهمت في تغيير ملامح التركيبة السياسية والإعلامية والثقافية في مصر.

وتُقام هذه الورشة بالتعاون مع قناة العربية، وفي هذا الإطار، قالت مريم بنت فهد - المديرة التنفيذية في نادي دبي للصحافة -: «إن التعاون مع قناة العربية يأتي في سياق توسيع قاعدة شراكة منتدى الإعلام العربي مع كبريات وسائل الإعلام في الوطن العربي».



هر يتنبأ بموت مقيمين في مأوى مسنين

عن صحيفة نيو إنجلند للطب[1]

صلاح الدين محمد يحياوي
فالباريزو - أمريكا

يبدو أن للهرّ أوسكار مقدرة خاصة غريبة على التنبؤ عندما يكون مرضى المأوى[2] في طريقهم إلى الموت، وذلك بالتحرّك إلى جانبهم بطريقة لولبية خلال ساعاتهم الأخيرة.

لقد قادت دقّته، التي لوحظت في ٢٥ حالة، هيئة العاملين في المأوى، ما إن يقع اختيار أوسكار على مريض ما، إلى دعوة أعضاء أسرته، وهذا الأمر يعني عادةً أن لدى المريض أقلّ من أربع ساعات للعيش.

قال الدكتور ديفيد دوسا DAVID DOSA - وهو اختصاصي في طب الشيخوخة، وأستاذ مساعد في الطب في جامعة براون BROWN UNIVERSITY - في مقابلة أجريت معه واصفاً الظاهرة: «إن الهرّ لا يرتكب كثيراً جداً من الأخطاء. يبدو أنه يفهم عندما يكون المرضى على وشك الموت». ويصف الدكتور دوسا الظاهرة في عدد الخامس من يوليو/ تموز عام ٢٠٠٧م من صحيفة نيو إنجلند للطبّ قائلاً: «كان الهرّ الصغير البالغ سنتين من العمر قد تمّ تبنّيه وتربى في وحدة العته الواقعة في الطابق الثالث من المأوى حيث يُعالج أناس مصابون بالعته الشيخي ومرض الشلل الرعاشي وأمراض أخرى. بعد نحو ستة أشهر لاحظ العاملون في المأوى أن الهر أوسكار يقوم بجولاته الخاصة تماماً كالأطباء والممرضات. لقد اشتمّ ولاحظ مرضى، ثم جلس إلى جانب أولئك الذين سيؤولون إلى الموت خلال بضع ساعات».

قال الدكتور دوسا: «يبدو أن أوسكار يأخذ عمله على نحو جدّي، وأنه عموماً لا يبدي اهتماماً أو عطفاً».

وقالت الدكتورة جان تنو JOAN TENO - من جامة براون - وهي التي تعالج المرضى في مأوى المسنين، وهي خبيرة في العناية بالمصاب بمرض قاضٍ على الحياة: «إن أوسكار أجود تنبّؤاً بالموت من الناس العاملين هناك».

كانت الدكتورة تنو مقتنعةً بموهبة أوسكار عندما قام بندائه الثالث عشر الصحيح؛ ففي الوقت الذي كانت تلاحظ فيه مريضة رأت أن المرأة ما كانت تأكل، وأنها كانت تتنفس بصعوبة، وكانت مسحة زرقاء تبدو على ساقيها، وهذه أدلة تعني في أحوال كثيرة أن الموت قريب.

مع ذلك لا يرغب أوسكار في البقاء داخل الغرفة، هكذا خطر على بال الدكتورة تنو بأن سلسلته انقطعت. بدلاً من ذلك ثبت في النهاية أن تنبّؤ الطبيبة كان تقريباً أبكر بعشر ساعات. على نحو مؤكّد بما فيه الكفاية، خلال ساعتي المريض الأخيرتين، أخبرت الممرضات الدكتورة تنو أن أوسكار التحق بالمرأة إلى جانب سريرها.

يقول الأطباء: إن أغلب الناس الذين يزورهم القط الصبوح الوجه، ذو الشعر الرمادي والأبيض، هم مرضى إلى درجة أنهم على وجه الاحتمال لا يعرفون أنه هناك. وهكذا، فإن المرضى غير مدركين أنه هناك منذر بالموت. إن أغلب الأسر ممتنة للتحذير المسبق، مع أن أحد الأفراد رغب في إخراج أوسكار من الغرفة في



الوقت الذي مات فيه عضو من أسرته. عندما أُخرج أوسكار أخذ يمشي الهوينى، ويموء معبّراً عن استيائه.

لا أحد يوقن أن لسلوك أوسكار معنى على نحو علمي، أو أنه يشير إلى سبب. تسأل الدكتورة تنو عما إذا كان الهرّ يشمّ روائح محذّرة، أو يقرأ شيئاً ما في سلوك الممرضات اللائي ربّينه.

يقول نيكولاس دودمان NICHOLAS DOOMAN- الذي يدير مستوصفاً للسلوك الحيواني في جامعة تافتس(٣)- وكان قد قرأ مقالة الدكتور دوسا: إن الطريقة الوحيدة للمعرفة هي أن تُدعم الكيفية التي يقسم فيها أوسكار وقته بين الحياة والموت بالوثائق. يقول دودمان: «إن يكن أوسكار على نحو خاصّ مثيراً للاشمئزاز حقاً فإنه من الممكن أيضاً أن يندفع سلوكه بضروب مُتَعٍ ذاتية التمركز كدثار دافئ وُضع على شخص يموت».

إن الأعضاء في مأوى المسنين غير معنيين بتفسير أوسكار ما دام يعطي الأُسر فرصةً أجود عند قول نستودع الله ميتاً. لقد حصل أوسكار مؤخراً على لوحة جدارية تُطري على رؤوس الأشهاد «عنايته الرحيمة بنزلاء مأوى المسنين».

المراجع

.1-New England Journal Of Medicine
2-The Steer House Nuasing And
.Rehabilitation Oenter In Providence RI
3-Tufts University Cummings School Of
.Veterinary Medicine

صدر حديثا عن:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

إدارة التسويق: ٤٦١١٢٠٨

ناسوخ: ٤٦٥٠٨٥٧

ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣



صدر حديثا عن:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
إدارة التسويق: ٤٦١١٢٠٨
ناسوخ: ٤٦٥٠٨٥٧
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies



تأليف

يوسف كرباج   إيمانويل تود

ترجمة

محمد السبيطلي   نورهان علي صالح

الرياض
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

لقاء الحضارات

تأليف: يوسف كرباج / إيمانويل تود

الكتاب:

"صدام الحضارات" لن يقع؛ بل على العكس من ذلك، هناك موجة التقاء قوية تلوح الآن على المستوى العالمي. والعالم الإسلامي لن يَشُذّ عن القاعدة: فمن المغرب إلى إندونيسيا، ومن البوسنة إلى شبه الجزيرة العربية، تشهد الديمغرافيا على ذلك: ارتفاع نسبة التعليم في صفوف الرجال والنساء، وانخفاض نسبة الخصوبة، وتراجع ظاهرة الزواج الداخلي.. إنها تغيُّراتٌ لكنها - في الوقت نفسه - شواهد على تحولات في البنى العائلية، والعلاقات السلطوية، والمرجعيات الأيديولوجية؛ مما قد يثير بعض التوترات المصحوبة بالمقاومة في وجه التغيير. ولا تشكل ردود الأفعال هذه معوقات بقدر ما سوف تسهم في تعجيل عملية التحديث.

المؤلفان:

يوسف كرباج:

متخصص في علم السكّان، ويعمل بالمعهد القومي الفرنسي للدراسات السكانية.

من بين أهم ما نشر من كتب:

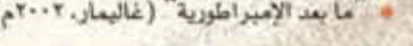
- "نصارى ويهود في ظل الإسلام العربي والتركي" (بالاشتراك مع: ف. فرجيس، فايارد، ١٩٩٢م).
- "آفاق سكانية جديدة في المتوسّط" (المنشورات الجامعية الفرنسية، ١٩٩٩م).
- "سورية في الحاضر" (بالاشتراك مع: ب. دوبريه، و: ز. غزال، أكت سود، ٢٠٠٧م).

إيمانويل تود:

مؤرخ وعالم أنثروبولوجي.

من بين أهم ما نشر من كتب:

- "قدر المهاجرين" (سوي، ١٩٩٤م).
- "الوهم الاقتصادي" (غاليمار، ١٩٩٨م).
- "ما بعد الإمبراطورية" (غاليمار، ٢٠٠٢م).





ردمك: ٣-٢١-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨